الأعمال الشعرية الكاملة

حلمي سالم



الجزء الرابع

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة

حلمى سالم

(الجزء الرابع)

وزارة الثقافة
الهيئة العامة لقصور الثقافة

سلسلة
الأعمال الكاملة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• الأعمال الشعرية الكاملة
حلمى سالم (ج٤)
• حلمى سالم
القاهرة 2014م
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: سعيد شحاته
• رقم الإيداع: ٢٢٥٤ / ٢٠١٤
• الترقيم الدولى: 978-977-718-615-5
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 شارع أمين
سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

الآراء الواردة فى هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة بل تعبر عن رأى وتوجه المؤلف فى المقام الأول.

الأعمال الشعرية الكاملة

حلمى سالم

ديـــوان

الغَرامُ المُسلَّحُ

(٢٠٠٥)

كتبت هذه القصائد بين باريس ومرسيليا

والقاهرة، فى الفترة من «٢٠٠١» حتى «٢٠٠٣»

الرابعة صباحًا

يرقدُ في المدخل،

تحتَ الأزرارِ الشَّفريّةِ للشُقَقِ العليا،

مَحْميًّا برياحِ التكنولوجيا،

ومصانًا بالحرياتِ المكفولةِ للفَرْدِ،

ليختارَ المضجعَ:

هل فوق سريرٍ بالمنزل ؟

أم فوق رصيفِ الأبنيةِ القوطيّةِ؟

كيف غدا الشحاذونَ بلا عددٍ،

مع أن هنا لا توجدُ دارٌ الإفتاءِ،

وليس هنا مشروعٌ قوميٌّ للصرفِ الصحيِّ،

ولا فيلمٌ عن حَسْمِ القواتِ الجويّةِ للحربِ؟

الشريان

أحفادُ الغَاليِّينَ يروحونَ ويغدونَ،
وهم مغسولونَ بماءِ الرِّفْعَةِ،
يشغلهُم أن يكتشفوا البقعَ العمياءَ،
بقلبِ القحطانيِّينَ الجُددِ،
وكيف تصير اللُّغةُ
سلاحَ الفارِّين من الحربِ.
هنا يستشرقُ رُهبانٌ أو عَلاّفون وشهداءٌ،
هنا يستغربُ جمّالونَ وحيّاكو أحذيةٍ وفدائيّونَ،
لكي يقعَ الحافرُ فوق الحافرِ،
أو يقتنصَ الصيَّادُ الطائرَ،

لكنّ الشريانَ الواصلَ بين الغاليِّينَ،
وهم يغدُونَ أمامكَ ويروجونَ،
وبين القحطانيّينَ وهم خلفك يندثرونَ،
ستفضحه عينا طفلٍ
عُلِّقتا بلسانٍ كُرَيِّمَ
إذ يتدلّى من مشنقةٍ .

ڤيكتور هيجو

لم يكُ يعلمُ وهو يخطُّ «البؤساءَ»
بأن المصريّينَ سيرتبكونَ بولعٍ ملتبسٍ
بين الدّانةِ والمطبعة،
وسيفتنهم أن يُلقىَ هذا الكهلُ
النظمَ المتنمِّقَ لكلابِ النثرِ السوداءِ،
وأن الفنانينَ الشُّبانَ السّاطينَ على الدنيا،
سيدورونَ أمامَ رسوماتِ أصابعِه الجَعْدةِ،
معتقدينَ بأن الرعشةَ في الشّعر
نتاجُ أياديهم لا أيدي بودليرَ،
فيا هيجو: من تقصدُ بالبؤساء؟

المتصوِّف

مُحترفُ حصاراتٍ

لو مّرتْ سَنَةٌ من غيرِ حصارٍ أرتابُ

وأسألُ: هل صِرتُ دجينًا لا يُقلِقُ أحدًا؟

مُحترفُ حصاراتٍ

من أيلولَ إلى تلِّ الزعترِ والفكهاني وطرابلسَ ورام الله،

جسدي جُهِّزَ لملاءمةِ الأقفاصِ

وروحي تنضحُ بتراجيديا السائرِ للحتفْ

أنا مُحترفُ حصاراتٍ

لو مرّتْ سنةٌ من غيرِ حصارٍ أرتابُ

وأسألُ: هل صرتُ الراضي بالحسناتِ

القانعَ بالسقفْ؟

رعشةُ شفتيّ العطشى رمزُ أمام
وثباتُ شفاهكمُ الغضّةِ رمزُ الخلفْ
محترفُ حصاراتٍ
لو مرّتْ سنةٌ من غيرِ حصارٍ أرتابُ
وأسألُ: هل ما عدتُ الواقفَ في حافةِ خطرٍ
وشَفَا جرفْ؟
دائرةُ الموت مجالي الحيويُّ
وعينُ الفوّهةِ لديَّ هي الشطحُ الصوفيُّ،
ولحظاتُ الكشفْ.

عکازات

يجلس مبتسمًا
يرقبُ عُكّازات المارّينَ،
يحاول وضعَ الأطوارِ البشريّةِ في نسقٍ،
أضنتْه الفلسفةُ فمالَ على جانبه الأيمنِ
ليرى الثورات العربيةَ من منظورٍ أفقيٍّ:
كانت أقوامٌ تذهبُ وتجيءُ،
وأبنيةٌ تهوي،
وصحيحونَ يعانونَ الفالجَ،
ورحىً تطحن صِبيانًا فيذرّيهم ربُّهمُ على الأمكنةِ
فيغدونَ ضمائرَ جَمْعٍ،
فيما يجلس مبتسمًا،

والآتونَ مع القَدَرِ

يُعرُّونَ مؤخرةَ الآتينَ مع القَدَر،

فينسى وضعَ الأطوارِ البشريّةِ في نَسَقٍ،

يُحصي عددَ العكّازاتِ المصفوفة،

ويضاهيها بشجيراتٍ من عنبٍ جَمّعه المصريونَ،

ويرشف كأسًا:

أنبيذٌ،

أم دمُ شابٍ من كفرِ الزيات؟

آرل

حقلُ القمحِ هنا
يشبه حقلَ القمحِ بفيطانِ الراهب،
الصُّفْرةُ نفسُ الصُّفرةِ،
وتمايُلُه في النسمةِ ذاتُ تمايلِه في النسمةِ،
والسنبلةُ هي السنبلةُ
(حمولتها من عددِ الحَبَّةِ مئةٌ)
لكنَّ الفرقَ الفاصلَ بينهما
أن القمحَ هنا
مَرْويٌّ بدمِ الأذنِ اليسرى
للسيِّدِ ڤان جوخ،
وقمحُ بلادي
مَرْويٌّ بدمِ فلاّحي كمشيشَ.
فهل أنتَ الحائرُ بين القمحَيْن؟

المباراة

الأبصارُ معلّقةٌ بالشَّاشة،

حيث الألمانُ يفوزون على الإيطاليِّينَ،

فآلافٌ ينفجرون من الفرحِ،

وآلافٌ ينفجرون من الحَسرةِ،

فيما خمسُ حناجرَ في الشارع،

تهتفُ: لنقاطعْ ما صُنعَ بإسرائيلَ.

هل الثغرةُ في التكتيكِ؟

هل المشكلةُ هي الحارس؟

مرثيةٌ للعمرِ الجميلِ

صادفَ ثورتَه العربيّةَ في باريسَ،

فناشدَها أن ترجعَ مسرعةً،

تاركةً إياه ليهلكَ برذاذ الليلِ الدافئِ،

تحت تماثيل الإسفلتْ.

واصلَ تعليمَ الأعرابِ تطورَ ديوانِ الأعرابِ،

من التقليدِ إلى التحديثِ،

ومن إقطاع البادية إلى إقطاع المدنِ،

ومن أسمنتِ القـ قافيةِ الأسمنتْ.

في آخر لُقيا،

كانت ثورتُه العربيّةُ في باريسَ سرابًا

فكّكه علماءُ السيميولوجيا المتشظّونَ

وسروالاً ليس يناسب جَرْيَ الهرولةِ،

فلم يظفرْ منها إلا بالأسمنتْ.

ثَمَّ حرافيشُ القاهرة خفيفونَ،

فطاروا مصحوبينَ بلعناتِ الرّوادِ التاريخيِّينَ

ومخترقينَ جدارَ الأسمنتْ.

لكنَّ الصفوةَ ناموا فوق الصدر ثقيلينَ،

وثقلاءَ،

بأيديهم تفويضُ الرَّبِّ،

فرزحوا فوق الأفئدةِ كأسمنتْ.

استدعى الطهطاويَّ وطه

استدعى الآباءَ القرناءَ المحتكّين بسلك

الضوءِ العريانِ،

استدعى عافيةَ البتانون اذا اصطكتْ

بيناتِ أفينيونَ،

ولكنْ لم يخلُدْ من ثورته العربيةِ في

باريسَ سوى الأسمنتْ.

طه حسين

يدعكُ عينيه لينزلَ من قاعهما الزيتُ الوسِخُ،
هنا فكَّر أن التعليمَ هواءُ الصدرِ وماءُ الأفئدة،
وحين تراءتْ مونبلييه على مرمى الشعراءِ ارتعشَ
القلبُ،
فرنّتْ ضحكتُه وتعثّرت الخطوةُ فوق رصيفِ الحَرَمِ،
هنا مرَّ صبيٌّ مغاغةَ:
يتأبط شرًّا،
يتأبط ديكارتَ ومخطوطاتِ معرّةِ نعمان،
وبلاغاتِ عليٍّ.
سيعاين حوضَ المتوسط فيشير:
الحوضُ هو المستقبلُ.

لم يكُ يعرفُ وهو يضمُّ السيدةَ الباريسيةَ
أنّ الطلبةَ سيعودون به فوق الأكتاف،
وأنّ الفنانين سينتحلون طريقته في وضع
الكَفِّ على الكَفِّ.

مُعَدٌّ كي يتلو الآياتِ على الأمواتِ،
ولكنَّ صبيٌّ مغاغةَ
درسَ على دوركايم فنَّ المعرفةِ بتمريرِ الإصبعِ،
فتأبَّطَ شرًّا
وتأبّطَ بن خلدونَ وديدرو،
وجَسَّ نحاسَ اللافتةِ الباردةِ: السوربون.
يجيب سؤالَ محققه:
الشكُّ هو الخالقُ والبارئُ.
يستدعي في التحقيق شهودًا من رهطِ مريديه:
فيشهدُ مندورٌ ودكروبٌ وعصفورٌ
ويشهدُ سعدي يوسفُ والأهوانيُّ وتيزيني
والعالمُ،
تلخيصُ شهادتِهم:
إن المكفوفَ هو المبصرُ.

ولذلك أرجحه الليبراليونَ وأرجحه الضباطُ،

ليفهمَ أن الكروانَ يساوي الكارثةَ،
وأن الحبَّ الضائعَ مسعى المكسورينَ.
فيا طه:
يا نصفَ السَّلفيِّين ونصفَ التنويريِّين،
ادعكْ عينيكَ بعتفٍ كي ينزلَ من قاعهما الزيتُ
الوسخُ،
وأقرضنا العاهةَ كي نركنَها فوق الرّفِّ،
ونسخَرَ من جمعية تأهيل معاقي أسيوطَ،
ألم تسمعْ صيحةَ أستاذِكَ من جوفِ معرَّتِه:
مرّ هنا النسّاجون الشرقيونَ،
ومرّت مجموعةُ بهجت وأباطرةُ الفيديو.
مر الكنتاكيّون وصنّاعُ غرامِ الأسياد.
الراحلُ في يوم الهول،
يرفُّ على شرفةِديكارتَ كطيْرٍ،

أما صبيانٌ مغاغةَ فاصطفّوا خلفَ النعش

يصيحون:

«اعتكزَ هواءُ الصدرِ،

تلوّث ماءُ الأفئدة».

أطلَّ أكاديميُّونَ وسابلةٌ وصحافيُّونَ،

أطلّ حقوقيُّونَ وعُمّالٌ تراحيلَ وسرِّيحةُ أمشاط،

وأطلَّ المحتجزونَ بأقسامِ الشرطةِ وأطباءُ الأسنانِ،

رموا فوق الجثمانِ النظرةَ قُدّامَ الحرَمِ،

وقائلُهم يهمسُ: سلِّمْ يا نورَ العينِ.

اللوفر

الثعبانُ لنا،

لكنّ صيادلةَ الغربِ غدوا عُشّاقًا للثعبانِ،

التقطْ الصورةَ جنبَ فلولِ الهكسوسِ،

لكي تتأكدَ أنكَ من نَسْلِ الأصليّينَ ،

ورُبَّ لصوص خيرٌ من أهلِ الكنز،

هنا إخناتونٌ محاطٌ بسياجٍ يحمي

العجلاتِ الحربيّةَ،

وهنا لغةُ الدهماء وتمجيدُ الشمسِ الرّبّةِ

وضحاها،

وهنا مرتكبو تمدينِ الدنيا بالغَصْبِ،

فخذْ وضعَ اللوتس في اللقطةِ أو قرفصْ بيدينِ

على الفخذيْنِ،

ليتضحَ الفارقُ بين السارقِ والمسروقِ،

و يتجلى الفاصلُ بين الترميمِ وبين

الماكياج،

وحتى يصدقَ هيرودوتُ إذا قالَ:

هنالكَ هِبَةٌ في الغِرْين أو وَهَّابونَ،
وإن حَذَّرَ أن غرامَ الأفعى
مبثوثٌ برذاذِ الماءِ وهَبَّاتِ الطقسِ،
الحرّاسُ يصونون الكنزَ من الفقهِ الصائحِ:
«أصنامٌ ومساخيطُ»،
ويحمون المعرفةَ من العارفِ،
لا تلمسْ أجدادَكَ يا مصريُّ
ولا تدهمْكَ الغربةُ قُدَّامَ البرديّةِ،
وإذا غامت عيناكَ بدمعِ الفلاحينَ الفصحاءِ،
فلا تلمْ الصَّبَّاغينَ ولُمْ أهلَ البيتِ،
وخذ لقطتَكَ التذكاريةَ جنبَ كتابِ الموتى،
حتى تتصلَ حداثتُنا بقدامتِنا في تزويرٍ يتقنه
الخبراءُ.
هنا تُجّارُ الآثار حضاريُّونَ،
وقُدّامَكَ قادشُ وسنوحي وأمنحتبُ وراعي التاجيّنِ،

فكنْ مثلَ الكاتبِ ريِّسَ نَفْسِه،
وتخيَّر: أن يتبوّلَ جهلاءُ على رمسيسَ
بقلب الميدانِ الواسعِ،
أو أن يغسلَه الكولونياليونَ بماءِ الكولونيا؟
فهنا أنتَ ولا أنتَ،
ورُبَّ لصوصٍ خيرٌ من ساداتٍ أهدوا
منقرعَ لساداتٍ،
ولربَّ الشَّبَّاكين هم الخيرُ،
التقط الصورةَ بحيادِ الجرّاحِ:
هنا لغةُ الدهماءِ،
وإخناتونُ المتبختِّر بالكرْشِ،
يزيلُ الأثرَ السابقَ للآلهةِ،
كطاغيةٍ بسّامِ الوجه.

الطنجاويّون

كان ابنُ زيادٍ ممدودًا فوق الرملِ،
يلوم النفسَ على ما أسّسَ من أفئدةٍ وصبايا،
يرقبُ نسلاً ينسى أن المهدي بن بركةَ
ذوَّبَه الحامضُ في حَمَّامٍ باريسي ضمَّخه طِيبُ
المارسيلييز،
وخلفَ الأبوابِ الطنجاويُّون يغنّونَ (المالوفَ)
لطُلابِ المتعةِ،
ويرشُّون الكُسْكُسَ فوقَ صدورِ البَحَّارةِ،
لم يزْجرْهم بَرَّادةُ،
لم يُلفتْهم بنُ خلدونَ إلى حكمةِ دوراتِ الحِقَبِ:
خرابٌ فالعُمرانُ وعمرانٌ فخرابٌ،
وهناك قربَ الجبل ابنُ زياد ممدودٌ فوق الرملِ،
يحاول فَكَّ الكود ليشربَ ماءً

يخلو من بحرٍ فى القُدّام ومن أعداءٍ فى الخلفِ،
لو انَّ ابن زيادٍ شربَ الماءَ
لأعطى للصحراء هويتَّها المسروقةَ باسم
العُرواتِ الوثقى.
ولقابلَ موقعةَ العِرْق بصدر الفرسانِ،
وحرَّمَ بيعَ التبغِ المضروبِ أمامَ محطةِ سان شارل..

فَصْلُ المَقَال

كانت كلُّ الأنهارِ بلا جِسْرٍ،
فلماذا جازفتُ بقنطرةٍ بين الحكمةِ والشَّرعِ؟
لو أني سِرتُ قبالةَ سيدةٍ كاشفةٍ فخذيْها
الكاكاويّين،
للاقيتُ أحبائي صَفًّا صَفًّا:
أوَّلهُم دانتي حارثُ لغةِ الإيطاليّينَ
بمحراث،
أوسطُهم جاليليو المشنوقُ إذا همسَ: تدور،
وآخرُهم لوركا الشاربُ من ريقِ البدو.
ولو أني نقّلتُ مَداسي في شاتيلييه
للمحتُ قرطبةً في فانوس المترو،
وتجلّى ندمُ المنصورِ على حلفِ المصلحةِ.

أنا حدَّثتُ امرأتي بحديثِ الكَنبة،

ثم تحرَّيتُ صنيعَ المجتهدينَ بأجرٍ أو أجرين،

ورتّبتُ مواريثي:

في الميمنةِ: الأزليّون وبوّابو الكوثر وكلاميون

شديدو الوطأة،

في القلبِ: البرهانيّون وتشريحُ الأندلسِ،

وزريابٌ، وطوقُ حَمَام،

في الميَسْرةِ: مجازيّونَ مُدّانونَ، وولاّدةٌ، وقُضاةُ

البدعةِ في النار، وأنجالُ أرسطو.

لستُ حزينًا من منشورِ مناهضةِ الفلسفة،

أنا أدري أن المنصورَ تراجيديٌّ كالعَسْكرِ،

لكني نقّلتُ مَداسي في أرض الله،

فليستْ تسلخني المحرقةُ لأنَّ الناسَ هم الحبُّ،
ومفتاحي: نصفُ الجَبْرِ ونصفُ الحريّةِ،
فلماذا يكرهني المحتسبُ ؟
تسائلني التلميذةُ:

- هل كان أبو عبد الله مصيبًا

في رفع العَلمِ الأبيضِ ؟

فأجيبُ: سأخصمُ من أرصدةِ البنكِ

ثمانيةَ قرونٍ،

كي أتأمّلَ في الليلِ مصيري.
تسألني: كيفَ ستقضي الأيامَ الآتية ؟
أجيبُ: سأعلن للرجل إذا قبَّلَ أنثاه بعَرْضِ

الشارعِ،

أو مَسَّ عجيزتَها بحنانِ العلمانيّينَ:
أنا أنكرتُ تهافتَ مدراءِ الحشرِ،

فردمَ الأهلُ عليَّ وأحياني الغرباءُ.
تعالتْ ألسنةُ اللهبِ،
ليتدفأ في الجُبَّةِ طابورٌ من نسلٍ:
يتدفأ فولتير وروسو ،
يتدفأ سارتر والرمزيون وماتشادو،
يتدفأ فوكو وحواريو ماركسَ.
يصطفّون بمريلةِ الصِّبيةِ في كرسي أفيروسَ الطائر،
فيما أقبعُ في القبر أواصلُ تضفيرَ الحكمةِ
بالشّرْعِ،
وأطرافي تتدفّأُ من محرقةِ المخطوطات.

نابليون

هذا الشابُ الطامحُ
صاحبُ أوّلِ حَكَّةِ شَرَرٍ
بين النائم والمستيقظ،
لم يؤمنْ أنّ عناقَ الجُبَّةِ والقبّعةِ عناقٌ
صعبٌ،
وعلى أنغامِ القُنّبرِ هُرِعَ رجالُ الإفتاءِ
يدارون النِسوةَ بمتونِ النَّصِّ،
وخلفَهمُ الشابُّ الطامحُ،
جاءَ وراحَ ليتركَ في الروحِ الولعَ وفي الحُكمِ البونابرتيّينَ الأحرارَ،
سيجري بدماءِ الغوغاءِ كأفيونٍ،
وسيجري بدماءِ الصفوةِ كالنوستالجي،

الشابُ الطامحُ صاحبُ أوّلِ حَكَّةِ شرَرٍ،
بين النائمِ والمستيقظِ،
تركَ هديتَه فينا:
أن يتأسلمَ ضباطٌ،
أن يتأسلمَ علمانيُّونَ،
وأن يتأسلمَ مدراءُ الأمنِ،
وكان القنبرُ يضبطُ إيقاعَ الصدمة،
فيما أحذيةُ الجندِ على بُسطِ الأزهر،
والعلماءُ الإنسانيُّون يفكُّونَ الشَّفرةَ،
ويصيغون الشَمْعَ لطائفة تضرعُ:
أنت خفيُّ الألطافِ.

وكان « إخاءً » مَدْموغًا في الماسورة،
و« مساواةٌ » في منشورات الطاعة،
و« الحريةُ » خلخالاً في سُنْبكِ كلِّ حصانٍ.

يجري بعروقِ الإصلاحيِّينَ الشابُ الطامحُ
صاحبُ أولِ حكّةِ شَرَرٍ بين النائمِ والمستيقظِ:

جاءَ المملوكيّونَ.
وجاء اليومُ السادسُ،
والكوليرا،
وحرافيشُ القاهرةِ الثوّارُ العريانونَ،
وجاء السيداجُ وجاء فرانكوفونيُّون أدلّاءُ،
وجاء الكورسيكيُّ الحالمُ
كي يتركَ في الروح الولعَ وفي الحُكْمِ البونابرتيِّين
الأحرارَ،
ووعيًا ينقسمُ على الذاتِ وينقلبُ على الواعينَ،
تساءل نفرٌ: هل كان رجالُ المطبعةِ غزاةً؟
ليس على حَجَرِ رشيدَ مَلامٌ،
ليس على القانونِ الوضعي مَلامٌ،
ليس على سِكّينِ الحلبي ملامٌ،

سيضيفُ الشرقُ الروحانيّةَ
ويضيفُ الغربُ العِلْمَ،
وليس على الطبَّاخينَ ملامٌ.
هذا الشابُّ الطامحُ
صاحبُ أول حكّةِ شرَرٍ
بين النائمِ والمستيقظِ،
سيطلُّ من المنفى يسأل:
هل كان من الصُّدفةِ
أن يسكنَ يوسفُ شاهينُ
بشارعِ شمبليون؟

أبو نواس

يطلبُ سلطانٌ فبركةَ حديثٍ نبويٍّ،

كي يطغى باسم الله الرحمن.

وبين القاتلِ والمقتولِ الشَّعْرةُ تُرخى وتُشَدُّ،

فررتُ وفي مخلاتي العِدَّةُ:

أقداحٌ،

غِلمانٌ،

قرطاسٌ.

وأمامي أخلافي الموهوبون يعيدون دروسي:

بنت الكرْمِ هي الأكرمُ،

وغلامٌ أمردُ أشهى من غانيةٍ.

يلزمني صِنْوٌ قيلَ سيولدُ بعدي،

يمدح أزهارَ الشرِّ ولا يمدح سَفّاحَ خراسانَ،

ويلزمني تشريعٌ قيلَ سيوضَعُ بعدي

ليصونَ شواذَ الشعب من الماشينَ على المازورات.

متى استعبدَ هذا القومُ الأقوامَ؟

متى قاومَ غائلةَ النازيّينَ؟

وشيّدَ واحدةً من سبعِ غرائبَ ؟

أخلاءِ في بيتعثون حضوري

في الإثمِ الرابطِ بين الإشراقات وفيرلينَ،

ويبنون مقامي في الرجلِ المومسِ

إذ يستند على الكاتدرائيّة علّ اللاقطَ

يلقطُ،

صدري: يسقط زرفُ الدمع على الأطلالِ،

وعجزي: يسقط فقهاءُ التدليس بإذنِ

اللهِ الرحمنِ،

وقدّامى المُنّيةُ:

أنّى أتلفتُ فالنهدُ وخمرتُه

والخمرُ وناهدُها،

والخلقُ يداوونَ الخلقَ بطبٍّ كان هو الداءَ،

فيقع البُرْءُ بإذنِ اللهِ الرحمنِ.

الأمويّونَ رعاةُ الذّلِ،

استهلالي: غابتْ عنهم أشياءٌ أوّلها تبجيلُ

الرفعاءِ،

وغرضي: أبحثُ عن لوطيٍّ زارَ مخيّمَ صبرا،
ليرى جثثَ رجالٍ مبقورينَ عُراةٍ،
فارتعشَ من اللّذةِ تنزو من مذبحةٍ.
خاتمتي:
ذي دار الحقِّ،
هنا المنعُ استثناءٌ ،
وهنا الشُّذّاذُ همُ القاعدةُ الصُّلبةُ،
وهنا الشعراءُ يُدانونَ
بتهمةِ إزعاجِ الياقاتِ البيضاءِ.
وبيتُ قصيدي:
قُدّامَكَ مجدُ الإسْت.

مارسيليا

مدنُ البحرِ امرأةٌ من أحرارِ قريش،
لا تعطي مفتاحَ الجَسَدِ الغامضِ إلا بعدَ محاكَكة،
فإذا مّرتْ قدماكَ أمامَ كنيسةِ «سيدةِ الحارسةِ»
ترى نفسَك في كومِ الدكّة من غيرِ السيدِ
درويشِ البحرِ،
سترى في الخلف مُحطةَ رملٍ
من غيرِ زعيمِ الوفدِ.
هنا تقليديّةُ موليير موازيةٌ لبراز الكلب،
وفلسفةُ البحارةِ تنشعُ من فخّارِ البوظةِ،

لكأن كافافي مَرَّ يصافح سيزانَ:
فهذا يتحدّثُ عن شمعِ القبرِ،
وهذا يتحدّث عن قبرِ الشمعِ،
فأيُّ القبريّن يضيء؟

وأيُّ الشمعيْن يفوحُ بجثثِ الغرقى؟
لكأنَّ خرائطَ مشتبكاتٍ تتحدى علماءَ الجغرافيا،
وسوانحَ يودٍ هائمةً تصطادُ مريضَ الربو.
حواليكَ السمَّاكون يغنون نشيدَ المارسيلييز،
وخلفَك كان السمَّاكون يغنونَ:
«رحنا إسكندرية رمانا الهوى»،
تتلاقى الأغنيتان على أشرعةٍ متصارعة،
إذ مدنُ البحرِ ثقيلاتٌ كليالي المغدورينَ،
خفيفاتٌ كالفهدِ.

حواليك امرأتانِ تقاسمتا زَبَدَ المتوسط،
وتبادلتا سهرَ الليلِ عليه:
فهذي ترعى النوتيّينَ ومخنوقي النَّوَّةِ وضحايا
القِرْش،

وهذي تغوي القبطانَ بسُرَّتِها وحريقِ مَسَرَّتِها

والقنصِ،

كأن السيدتين تناصفتا حقْدَ الإخوةِ،

كي تحصدَ واحدةٌ ميراثَ الريحِ وحربَ السيطرةِ

على الحوضِ.

الشبكةُ ملأى بالغَلَّةِ:

من موسى للقرموطِ مرورًا بالسردين،

وجوهرُ ما تشهدُ: مقصلةُ كريمٍ بعد مقاومةٍ .

في مدنِ البحرِ العاشقُ يخسرُ محبوبتَه،

فيما قلعةُ فاروق تطلُّ على الميناءِ المتعتِّقِ،

حيث يعذِّبُه شوقُ الملكِ المخلوعِ إلى وطنِ الخَلْعِ،

فيدرك أن المدنَ على البحرِ عَصِيَّاتٌ كامرأةٍ من أحرارِ قريشٍ،

سهلاتٌ كرصاصِ الرحمة.

حنجرة

ليست للحنجرةِ البشريةِ جغرافيا،

فالحنجرةُ هي العليا،

فيما القومياتُ هي الأسفلُ،

ولهذا يمكن لمواطنٍ كلكتا أن يكتبَ:

«يسقطُ سفّاحُ الأطفالِ»

ويمكن للطولوني المتزمتِ أن يصرخَ:

«تحيا رام الله».

ليست للحنجرةِ البشريةِ أديانٌ،

فالحنجرةُ هي العليا

فيما الفقهاءُ هم الأسفلُ،

ولهذا يمكن لصواحبِ بوذا أن يهتفنَ:

«تعيش اليافاويّاتُ»

ويمكن ليهودِ جنوبِ فرنسا

أن يضعوا كوفيّةَ الاستشهاديِّ على
طاقيّاتِ السبتِ،
ينادون بحقِّ التلميذةِ في درسِ الفصحى.
ليست للحنجرةِ البشريةِ أجناسٌ،
فالحنجرةُ هي العليا
فيما أصلُ الأنواعِ هو الأسفلُ،
ولهذا يمكن أن يمشي في الرَّكْبِ:
نساءٌ متكشفاتٌ ونساءٌ محتجباتٌ، وذكورٌ
قوّامون بما منحوا للزّرعة، وإناثٌ قوّاماتٌ
بعطاياهنّ لزيتِ المصباحِ، وخدّامون، وكلبٌ
يصحب سيدَه البنغالي ، وشُقْرٌ، والسّودُ ،
وأصحابُ البوتيكات، وأطفالُ الأُجَراءِ،
وكل حناجرهم تجأرُ :
«نحن مخيّمُ عينِ الحلوةِ»
فالحنجرةُ هي القلبُ الكونيُّ الطائرُ
في هيئةِ تفاحةِ آدم.

سلطان العارفين

أخطأني كلُّ مريديَّ،
فلستُ سوى مشغوفٍ بابنةِ شيخٍ،
من ثمّةَ كنتُ الغوثَ،
أمهِّدُ ثوبي كي يجلسَ قربي الأحبابُ:
الطاويّون، بروكلمان، ابنُ الفارض،
وأدونيسُ، زنوجُ القرنِ، الشِّعرُ الحُر، وبسطاءُ الطائفِ.

أنكرني الأهلون لأني برقعتُ المحبوبةَ بالربِّ،
فحملتْ ريحٌ طيبةٌ فتوايَ لعمَّالِ بناءِ القلعةِ:
كلُّ مكانٍ ليس يؤنّثُ ليس عليه التعويلُ،
اجتهد البناءون وأخذوا الفصَّ:
الملأُ الأعلى أنثى،
وصلاةُ الغائبِ أنثى،
والسُّورُ المكيّةُ أنثى،
وفحولاتُ الذّكر مؤنثةٌ.

شمُّوا رائحتي في النسويّين،
أنا شفتُ الأخلاقَ بنومي،
يبنون على عضدي منشأةً حتى فُتَّ العَضُدُ،
ترنحتُ من الكرخِ إلى الباستيلِ،

وكان خصومي نوّابَ الرّبِ،
ونوّابَ الشعبِ،
ونوّابَ الحزبِ،
سأفتح صندوقًا وأستفُّ مقتنياتي:
ديرٌ للرهبانِ، وأممٌ من دمعٍ، بيتٌ للأوثانِ،
النّظّامُ، ومصحفُ قرآنٍ، قبرٌ دمشقَ، السبّاحونَ.
سأقفزُ من حلبَ إلى طلابِ ٦٨

لأرى صوري فوق صدورِ الشاباتِ،
وفوق رءوس الهيبيّينَ،
وفي أيدي أنصارِ تروتسكي،
فيما الصفُّ الأوّلُ: شهداءُ الوقفةِ والشكّاكونَ.
ومأثوري : الحرفُ الواحدُ أممٌ،
والدَّمُ هو استحقاقُ المنبوذينَ،
ونصّي: ما ثمَّ إلا حيّرةً.

الوهرانيُّون

سنرفرفُ مذبوحينَ ويحلُو الطيرانُ،
الأخوةُ ذهبتْ من أرواحِهمُ المقسومةِ صرخاتٌ
جميلة،
طفقوا يشتجرون على ملكيّة هذي الناصيةِ،
الأخوةُ، هل فَرُّوا من سكِّين الإنقاذِ
إلى سكّين التابعِ والمتبوعِ؟
وآيتُهم: سنرفرف مذبوحينَ ويحلُو الطيرانُ.
لذلك ظلُّوا ينتشرون على الأركانِ
يبيعون شراشفَ حُجّاجِ القُرْعَةِ،
يشتجرون على ملكيّة سفنِ الميناءِ،
يفرُّون من الواحدِ للمتنوّع،

ويفرُّون من السَّلْخ على الأسلوب الإسلاميِّ،
يفرّونَ من العَسْكرِ فوق العَرْشِ،

ومطلعُهم: سنرفرف مذبوحينَ ويحلُو الطيرانُ،
الأخْوةُ: يستغفر واحدُهم ذنبَ البربرِ
والتعريبِ وغطرسةِ العثمانيين وذلِّ الدّاي
وشركاتِ التحرير،
فتذهبُ من أرواحهم المقسومةِ صرخاتُ
جميلةَ،
يفتخرون بأن القاموسَ استوعبَ «لاباسَ»،
يرون المليونَ شهيدٍ ثمنًا بخسًا للترشيحِ،
وحاديهِم: أن القاهِرَ يتقمّصُ قاهرَه
أن المكسورَ يحرِّرُ كاسرَه،
أن العتقَ ينادي طائرَه،
الأخوةُ أصلانِ: المتوسطُ وأمازيغيُّونَ،
وبينهما الكعبةُ والفاروقُ وصرخاتُ جميلةَ،
وتحيتّهم فيها : سنرفرفُ مذبوحينَ ويحلُو الطيرانُ.
ضحيَّتنا تعشقُ لفتاتِ الجلادِ،
فهل فوق رصيفِ الأزهارِ مجيب؟

السُّهْرَوَرْدِيُّ

يبحث عن أحفادِ سرْياليّين على طرقات الحيِّ
اللاتينيِّ،
وحين يعذِّبُه البحثُ يلوذُ بباطنه،
ويناجي أهلَ الخرقةِ من مغدورينَ وقتلى وهواةٍ.
فرَّ من البطشِ الأيوبيِّ،
وسار جوارَ الكونكوردِ كمن دخلَ الغَيْبةَ.
وْالأجناسُ المتموجّةُ تشيرُ إليه: المقتولُ،
يقارن بين عمامته ومسّلةِ مصرَ،
فيدرُك أن السيرياليِّينَ التهموا عينيه الغائمتين،
وأن الغربةَ وهمُ المغتربينَ وهَمُّ الأغرابِ،
اختبأ وراءَ البارِ لئلا يكشفه عسسُ صلاحِ الدينِ،

ووضعَ الفيضَ الإشراقيَّ برقمٍ سريٍّ في بنكٍ،
لكن السرياليِّينَ تخلّوا عنه وقالوا:
ليس أبانا،
فارتبكَ السيّدُ واحتارَ بما فاضَ،
اقتلعَ اللحيةَ حتى لا يرصده صليبيّونَ انجرحوا في حطّينَ.
أمام كنيسة نوتردامَ تساءل قبل الإغفاء:
لماذا لم يَغْدُ محرّرُ بيتِ المقدسِ ليبراليًّا؟
وأجابَ: العلّة في وجعِ القلبِ،
أرشُّ الأحبابَ بنورٍ،
وهمو بالدمِّ يرشّونَ.
وحين تعثّر بعضُ السرياليّين بجُبَّةِ شيخٍ
هزّوا البدنَ بأسلوبٍ سرياليٍّ،
كان المقتولُ الهاربُ من بطشِ الأيوبيِّين ينزُّ،
وخيطُ الدَّم يلوِّثُ أقدامَ الأدباء.

العـرب

منهم فرجُ الله الحلو الذائبُ في الكبريتيك،
ومنهم بوحريدُ المكويّةُ بسجائر جيتانَ
على لحم الثديَيْن،
ومنهم عمرُ المختار مؤسِّسُ علمِ الخدعة،
منهم ليلى خالدُ سيّدةُ ميونخ،
منهم صاحبُ مدن الملح.
ومنهم قاسمُ حداد.
الأعرابُ المندرجون المطواعونَ ذوو العُنَّةِ،
ليسوا دومًا مندرجينَ ومطواعينَ وعنِّينينَ،
ففيهم بعضُ خوارجَ.

الحلاج

محترفو دَقِّ مساميرَ،

لذلك دَقُّوا المسمارَ وراء المسمارِ بحنكةٍ مبتهلينَ،

المستوظفُ ساءلني: مَن أنتَ؟

أجبتُ: أنا الشخصانِ بشخصٍ،

ورفيقي صاحَ: لماذا بُحتَ؟

أجبتُ: يدقّون المسمارَ وراء المسمارِ بحنكةٍ

مبتهلينَ،

- فماذا تملكُ؟

- ما في الجبّةِ غيرُ بُقُولٍ وقراقيشَ.

الكاتدرائياتُ انتشرتْ في الصّدرِ،

فصار المحرومونَ عديدينَ،

ليتوهّج وجدُ المخبرِ،

فيدقُّ المسمارَ وراءَ المسمارِ بحنكةِ مبتهلٍ،

- ما الرؤيةُ؟

- شُفتُ سماسرةً برياش،

فهمستُ لمن في الجُبّةِ أنَّ الوسطاءَ سيمتنعونَ،

- وصحبُكَ؟

فأجبتُ: الشبلي، ماسينيون، عبده وازن، وأبو سعدة،

وصلاحُ الشيبى، محمود مرسي، وفتاةُ

الأرك، وسبعينيو مصر.

يخطُّ التكعيبيّون على الحائطِ: تمّتْ مأساةُ السيد،

والسيدُ يحفرُ:

عاينتُ وجودًا يتوحّدُ ووجودًا يتبدّدُ،

وأنا بينهما أنزفُ حتى تختلطَ دمائي بمساميري،

إذ دقُّوا المسمارَ وراءَ المسمارِ بحنكةٍ مبتهلينَ،
المستوظفُ سألَ: ومن أهلُكَ؟
- أصحابُ الدير، وأصحابُ المعبدِ، أصحابُ الجامعِ،
والبوذيّون، تلاميذُ زرادشت، طلائعُ هيجلَ، ورعاةُ النصِّ
الآلي، وعُبَّادُ البقرةِ، وعمائمُ قُمْ.

سيناصرني رجلٌ إن قال: أنا النقطةُ تحت الباء،
ويحميني مجذوبٌ يبحث عن كشفٍ يحتاجُ إلى
كشفٍ.
لم يكُ سهوًا أن يضعوا اسمي في قائمةِ
المطلوبينَ بتهمةِ إنكار العِرْقِ،
ولم يكُ سهوًا أن يضعوا رسمي في لائحةِ المشبوهينَ
بجُرمِ مطارحةِ الرّبِّ هيامًا بهيامٍ،
لم يكُ سهوًا أن تزدهرَ مساميرُ التقوى،
فيدقُّونَ المسمارَ وراء المسمارِ بحنكةٍ مبتهلينَ،
ويسألني المستوظفُ: ردُّكَ؟

فأتمتمُ: لا تضعوا لي تمثالاً في مبنى الشمعِ،
فعندي تمتزج الأنثى بالملكوتِ،
ويمتزج الغُنجُ بميكائيل،
ويمتزج الفخذُ العريانُ برضوانَ.
المستشرقُ قدَّمني لأكاديميِّينَ نظيفينَ،
فجفلوا من مرآي،
وراحوا يبتكرون بحوثًا عن روحِ المتصوفِ.
فازدادتْ في الأرضِ مساميرُ المبتهلينَ:
على باحةِ فرساي مساميرُ،
وفوق البرجِ مساميرُ،
وخلف خطابِ الليبراليِّينَ مساميرُ،
وتحت السوتيانِ مساميرُ.
الكلُّ تحنَّكَ كالمبتهلينَ،
وهذا العصرُ صليبٌ فوقَ صليب.

مظاهرة

كان على المتوسط بدءُ المشهدِ، دائرةٌ، أعلامٌ، أزياءٌ
تتحالفُ، وشيوعيّون، برابرةٌ، حنجرةٌ، ووجوديُّون،
الأخضرُ في الأحمرِ في الأسودِ. كُتّابٌ، هيبيُّون نظيفون،
وباكستانيُّون، وأزياءٌ تتآلفُ، أوكرانيُّون. الأخضرُ
في الأحمرِ في الأسودِ فوق الهاماتِ يرفرفُ، حنجرةٌ في
حجمِ الميناءِ، جليليُّون، وباعةُ شاورما، شارون
القاتلُ، جونلاتٌ هفهافاتٌ. أطفالٌ من طولكرم
يغنُّون «ولا حكمُ النذلِ»، ومارسيليُّون يطلُّون من الشرفاتِ
يشيرون بوُسطاهم والسّبابةِ، بوشُ الضالعُ. كان
بقلبِ الأحياءِ المشهدُ، مصريون على الميكروفون،
وقصاصاتٌ، مصريون يجول بخاطرِهم بحرُ البقرِ،

وغزّاويون، وأزياءٌ تتآلفُ، شعراءُ، وشُرّاحُ
البهجةِ، توراتيُّون يعادون نقاءَ العنصرِ، حنجرةٌ في حجم
الميدانِ، وأفريقيُّون، الأخضرُ في الأحمرِ في الأسودِ
يتحدّى القنصلَ، فتيانٌ وهرانيُّون وفتياتٌ وهرانيَّاتٌ،
دائرةٌ تتسع لتجرفَ حفرياتِ المعرفة،
وبحّاثُون من الشرقِ، وبوذيُّون، تلامذةُ أراجونَ،
الحريَّةُ للختيار، وعلويُّو الجولانِ، ووكلاءُ الكعبةِ،
وعواجيزُ اللدّ يضعن الحطّةَ ويزغردن، الأخضرُ في
الأحمرِ في الأسودِ فوق الهاماتِ يرفرفُ ليقلّدَ
رفرفةَ الشهداءِ، ورهبانٌ من أحفادِ يسوعَ، الجيلُ
الثاني من مبقوري شاتيلا، كيسُ خُضَارٍ في
يدِ مارسيليٍّ، شارونُ القاتلُ،
دائرةٌ تتسعُ لتصبحَ كونًا، بوشٌ
الضالع، كان على الأفقِ المشهدْ، والحنجرةُ تلمُّ
الجمعَ: فلسطينيون.

المتنبّي

فَرَسي مطلوقٌ

والغايةُ آخرُ هذي الأرضِ،

أعلِّم مندوبَ المغتربين القلقَ على القلقِ،

كأن الريحَ تحفُّ بساقيَّ،

ورصفائي انتشروا في الطرقاتِ:

فهذا كورنيٌّ وهذا راسينٌ وهذا ذو القرنينِ.

أمامي نيتشه لصٌّ في الصّفِّ،

سيسرقُ قولي عن ضعفٍ يتقاوى وقصيرٍ يتطاول،

ليكوِّن فلسفةَ القوة.

أرحلُ في الخمسينَ:

قرامطةُ الصحراءِ العربيةِ بعضُ رجالي،

ومجوسيُّون بجلبابي.

جاء الفتيانُ الرّثون الشُّقْر،

اقترضوا مني المتمردَ والثوّارَ المجذوذينَ

وفكرَ العدل،

فدبّجتُ خلاصةَ كدحي: أصل الدنيا الظُّلمةُ لا الظُّلمُ.

سأركضُ بحصاني في جادّةِ بومبيدو وأصيحُ:

الليلُ سيعرفني والخيلُ، وتعرفني البيداءُ

سيعرفني الرمحُ ويعرفني القرطاسُ ويعرفني القلمُ،

وأتجلدُّ،

لن تؤلمني قهقهةُ المارةِ

حين يرون سروجي وخيولي،

لن يجرحني أن تخرجَ ساعةُ دالي من لوحتِها،

تتشعلق في ذيلِ الفرسِ،

تتكتكُ بعصورٍ عاصرةٍ ومعاصرةٍ،

آخرُ هذي الأرض،
دخلتُ جنينَ فلم أتبين مقتولًا يتضرّج بدمٍ،
من ثكلى تتضرّج بدموع،
أصطكُّ بمصريّين طهاةٍ ونوادلَ وسُعاةٍ
فأرى بصمةَ كافورَ على الصّدغ،
وأدرك أن الأممَ ستضحكُ من جهلِ الأممِ،

هنا يوجدُ عميانٌ
ينظر واحدُهم ليَرَاعي وفنوني،
وهنا يوجدُ صُمٌّ
يسمع واحدُهم كلماتي إذ تخترق الطبلةَ.
أقطع بالفرس المطلوقِ قرونًا حتى أصلَ إلى
قوسِ النصرِ،
فأعرف أن جمالَ حضاراتِ الغربِ هو المجلوبُ
بتطريةٍ،

لكنَّ بهاءَ بداوتنا ربانيُّ الصُّنْعِ،
فهل كنتُ أجمّل نفسي أم كنتُ أداهنُ سلطاني؟
أفرطتُ فقلتُ: الرشفةُ أحلى من توحيدِ الربِّ،
وقتّرتُ فقلتُ: أولئك نفرٌ يحتفلون بعيدِ الثورة،
وأولئكَ نفرٌ يحتفلون بعيدِ الأضحى،
فبأيّة حالٍ عاد العيدانِ؟
الحانةُ ملأى بمسّراتٍ، وظباءٍ مغلولاتٍ وظباءٍ حُرّاتٍ،
مالي ليس يحركني ميسُ الغيدِ؟
وهل كان الخطأ تراجيديًّا إذ قلتُ لمصرَ:
نواطيرك نامت والثعلبُ صار طليقًا؟
وهنا بدنُ البشرية:
دانٍ وبعيدٌ ومحبٌّ وبغيضٌ،
لكني سأظلُّ الرجلَ العربيَّ،

غريبَ محيًّا وغريبَ يدٍ وغريبَ لسانٍ.

تلك مفارقتي:

أسخرُ من عبدٍ منكودٍ مصحوبٍ بعصاه،

ومستوري أني أسخرُ من نفسي:

عبدًا كنتُ لأحلامي،

عبدًا كنتُ لشهوةِ مُلْكٍ،

عبدًا كنتُ لترمسةٍ سوداءَ بصدري.

نحن سواءٌ في الموتِ:

هنالك رجلٌ قُتل بجملةِ أنَّ الأرضَ مُكَوَّرَةٌ،

وأنا رجلٌ قُتلَ بجملةِ أنَّ الليلَ

وأنَّ الخيلَ

وأنَّ البيداءَ

وأنَّ الرُّمحَ.

فصلٌ في الجحيم

تسري غارغارينا السّاقِ فيبترها الأفريقيُّونَ،
لأبتدعَ وشائجَ واصلةً بين الأسلحةِ وبين الرمزِ.
لدىً صبيٌّ يخفي الأفيونَ بطيّاتِ الإنجيلِ،
ويدفنُ صندوق طبنجاتٍ في ثغرِ الإسكندر،
ثم يحطِّم مركبَه النشوانَ بشاطئِ عدنٍ.
ولديّ صبيٌّ أنزلَ عن كاهلِه عبقرَ،
حتى يتركَ للنّقادِ السّهرانينَ البحثَ عن القيمِ
التجريبيةِ،
وهو يوجّه نزلاتِ الوحي لترحيلِ العُبْدانِ:
الحبشةُ خيرٌ من قافيةِ الجُملةِ،
والحبشيّاتُ الخرّوبُ المطحونُ،

أرى الدنيا صنفين: المبتورينَ وغيرَ المبتورينَ،
أرى شرقيّين يصلّون على قبري،
وأرى في ذيلي ثوريّين وعدميّين وقوميّين،
فتسري غارغارينا الساقِ،
ونرمز للهاوية بهربي من أمي.
سيطيرُ النعشُ كأهلِ الخطوةِ،
وتُذاع وصاياي:
آديروا جائزةً باسمي،
أعطوا للفائز رطلًا من أفيونٍ ،
وثلاثَ بنادقَ مزدوجاتِ الماسورةِ،
أو أربعَ قيْناتٍ من هُرْمز.
تصلُ الغارغارينا للفكّيْنِ،

فأعترفُ لطاقم تمريضي والماشينَ وراءَ النعش:

تسلَّقَ كُثْرٌ كاللبلابِ عليَّ،

وكنتُ أدوِّن صفقاتِ الأفيونِ على ورقِ

الإشراقاتِ،

أحرِّر في أصلِ المخطوطةِ بوليصةَ تخليصِ

الشحنِ.

لديَّ صبيٌّ يتبرّأُ من قافلتي،

ويراقبُ كيف يبصُّ النصُّ من الفوّهةِ،

وكيف تحوَّلَ أفيونيُّون إلى شعراءَ،

ويهمسُ في المأتمِ:

كم من مجزرةٍ

تُرتكبُ على اسمكَ

يا رامبو؟

التوحيدي

بيديَّ وليس يديْ عمروٍ أحرقتُ الكتبَ،
أنا جَدُّ المنبوذينَ،
ولكنّ كلماتي لم تُصلِحْ شأنَ الوزراءِ،
ولم تمنحني غيرَ الموجدةِ وذلَّ المسألةِ،
برغم وجود السيد كامو بفراشي كلَّ غروبٍ،
يقضمُ من خبزي ثم يصيح:
الحريّةُ لأهالي قسطنطينية.
ألمحُ بعضَ بذوري في صفحاتِ الغثيان،
وفي مصيدةِ الجسرِ الواصلِ بين الكاتبِ والسلطةِ،
فلماذا ظفروا بالكعكةِ وتماثيلِ الشمعِ
ولم أظفر إلا بالنُّكران؟

سأمشي بين أجانبِ طولونَ وأعلنُ:

ثمَّ غريبٌ لم يتزحزحْ عن مسقطِ رأسه

فغريبُ الغرباءِ الرجلُ إذا صار غريبًا في الوطنِ.

سأحرقُ كتبي لأسجِّلَ سابقةً في الغمِّ،

وأمنحَ للأجيالِ الشّابةِ نبراسًا في مدحِ العَدَم.

محاطٌ بالعمليّينَ:

فلستُ أرى العاشقَ إن سَكَتَ فحيرانَ،

وإن نطقَ فحزنانَ،

ارتجَّ عليَّ

ففتشتُ عن الناجين من المحرقة يشيلون ملامح

وجهي،

لكني لم ألقَ سوى لافتةٍ واحدةٍ:

يمتنعُ دخولُ الطَمَّاعينَ،

محاطٌ بسلاطينَ ومخبوطينَ،

محاطٌ بأساطيلَ وحَشْدِ مساطيلَ،

ورغم وجود السيد كامو بفراشي طولَ الليلِ،

سأنهضُ من إغفاءةِ قومي،

أحرقُ كتبي وأراقبُ سُرَّاقَ رمادِ الكتبِ،

ليبنوا منه النظرياتِ المستحدثةَ،

ويضعوا منه الكحلَ الأسودَ،

بعيونِ شراميطِ الليلِ أمام كنيسةِ يوحنا،

ويصوغوا نُصبَ الميدانِ،

المذهبُ كان يقرِّر: يلزمُ بعضُ القولِ،

كما يلزمُ بعضُ الصمتِ.

الليلةَ صار المذهبُ: يلزم كلُّ الصمتِ،

ليعلو صوتُ حريقِ الورقِ المطبوعِ.

الطهطاوي

يمشي رجلٌ هذي الليلةَ بجوارِ مدافنِ نابليونَ
يحطُّ الوردةَ ويسجِّلُ فوق الشاهدِ:
هذا الغازي تركَ الأرضَ وأخذَ القلبَ.
أنا لستُ إمامَ البعثةِ،
بل مندوبُ الميتافيزيقا في الإطلال على الفيزيقا،
عاينتُ الإسلام ولا إسلاميّينَ:
العملُ مناطُ القدرةِ،
صَوْنُ الضعفاءِ من الغولِ،
الإبقاءُ على المختلفِ.
وكنتُ رأيتُ بداري إسلاميّين ولا إسلامَ:
التدليسُ مناطُ القدرةِ،

صَوْنُ الغيلانِ من الضعفاءِ،

وسلْخُ المختلفِ كشاةٍ.

يمشي بجوارِ مدافنِ نابليون يدوّن:

لم يمضِ القرنانِ علينا يا صنوي في الهوسِ بمصرَ،

ولكني مصعوقٌ من أعجوبةِ تصويتِ الدهماءِ

على السّادة من غير مباحثِ أمنِ الدولة،

أو قطعِ العُملة نصفين:

فنصفًا قبل الصوت ونصفًا بعد الصوت.

فكيف تطامنتم قُدّام وحوشِ العولمةِ؟

وهل تعلم شيئًا عن كابولَ؟

تنبّهْ: لستُ أقاضيكَ ونحن الشّقانِ الضّدانِ،

أنا ذو العمّةِ فيما أنتَ رسولُ الثورةِ،

لكني أتفحّصُ ذاتي:

كيف أخلّصُ إبريزًا،

أو أقفزُ إفريزًا،

إن كنتُ كتبتُ على القفطان: سلامٌ يا ألبابْ،

ولملمتُ الثوبَ لكي لا تحرقني الكيماوياتُ؟

أنا مندوبُ الميتافيزيقا في الإطلالِ على الفيزيقا،

أضعُ الوردةَ فوق الوردةِ وأقولُ:

كلانا طالبُ مملكةٍ ملأى برقابٍ منحنياتٍ:

هذي باسم القُوّادِ البحريّينَ،

وهذي باسم ملائكةٍ من عَدَنٍ.

هل سمعتْ أذناكَ عن اللدِّ؟

وهل تعلم أن طيورَ المعدن عصفتْ بالناطحتيْنِ؟

فيا صنوي في الهوسِ بمصرَ،

أنا لستُ أحاكيكَ ونحن الشّقانِ الضّدانِ:

القبضةُ باللاهوتِ أو القبضةُ بالناسوتِ،

وبينهما قرنانِ جريحانِ

وقيحٌ ينزف من أضرحةٍ.

سأنفّذُ توصيةَ العطّار

وأنهلُ من ماءِ النارِ إلى أن يهترئَ الجوفُ،
أدلُّ حفيداتي بالغمزِ على آخرِ موضاتِ النعشِ،
أزوِّجُ تشريعاتِ الأشرارِ لتشريعاتِ الأخيارِ،
لأبدأ درسَ المستحسَنِ والمستقبحِ مما عند
الإفرنجِ.
الفازي تركَ الأرضَ وأخذَ القلبَ،
ليمشي رجلٌ هذي الليلةَ بجوارِ مدافنِ نابليونَ،
يحطُّ الوردةَ فوق الوردةِ فوق الوردةِ ويغمغمُ:
مدرسةُ الألسنِ تتعانى،
وفوانيسُ القاهرةِ الكبرى تتعانى،
وعلاماتُ الدربِ محاها النشّالونَ.
فيا صنوي في الهوسِ بمصرَ،
أراكَ مثيلي:

فردانِ غريبانِ حزينانِ أذلَّهما القرنانِ،
فما عدتَ الفاتحَ ذا الغُرّةِ والتاجِ.
وما عدتُ الناهضَ،
طُمسَ الحلمانِ: الهيمنةُ بسيفٍ، والهيمنةُ
بمعراجٍ،
لا أسّستَ المُلْكَ،
ولا أنقذتُ حفيداتي من فقهاءِ الأسمنتِ،
ونوّابِ الكعبةِ.
لنضمَّ القبريْنِ ونبكِ على المجديْنِ:
فلستَ عصيَّ الدمعِ.
ولستُ عصيَّ الدمعِ.

المعرّي

أمشي بالوطء خفيفًا،

فأديمُ الأرضِ من الأجسادِ السادرة أمامي،

ولعلي المرهونُ بحبسَيْن: عمائي والعزلةِ،

ولعلي بعصاري أرى استعماراً باللغة،

حبائلَ بالحرياتِ،

كمائنَ بالجسد المطواع.

بواسطةِ الشّم أخمّنُ أنّا مأسورونَ،

فنحّوا المصيدةَ عن الوجهِ لنمشي بالوطء خفيفًا،

أهدي لحضارتكم شَكّي في التقنية،

وشكّي في عِلْم الساعةِ والمترو والمسرح،

حتى تهتزَّ الثقةُ العمياءُ

بإمكانية أن يغدو الصيادونَ فرائسَ،

ومحاضرتي:

شُكُّوا في فلسفةِ العمقِ وفي الجيرنيكا،
شكّوا في المنضدةِ وفي شِعري الشّاكِ،
وفي يأسي وعَصَاي وغفراني.
أمشي بالوطء خفيفًا،
أتوكأ وأهشُّ على غنمي
مصطحبًا من كل الأحقابِ رفيقًا:
هذا الأعشى،
ذاكَ تريزياسُ حكيمُ سفنكس، ذا
بشّارُ، وهذا طه، بورخيسُ، عمّارُ،
وذاكَ مشخّصُ عطرِ امرأةٍ.
فلعلي لا أعلم أنهمو سرقوا المطهرَ مني،
ولعلي لستُ أبالي إن كنتُ أبًا لجحيم الإيطاليينَ.
أنا أمشي بالوطء خفيفًا،
فأديمُ الأرض من الأجساد السادرةِ،
وموعظتي: شكّوا بعماءِ العميانِ،
وشكّوا في المحبَسِ.

تطـــور

كانوا ما بعد حداثيّينَ، وكانوا دادائيّينَ، وروّادَ
تشظٍ، كانوا دهريّين، وصابئةً، ووجوديّينَ،
ومرجئةً، ودعاةَ سلامِ النفْسِ. وبعدَ سويعاتٍ
صاروا أفّاقينَ، وبيّاعي ماءٍ في حاراتِ السّقّايينَ،
وجزّاري أرواحٍ، صاروا جوقًا، منشطرينَ، وعشّاقًا
للذيلِ، فخورينَ بقطعِ الرقبةِ، صاروا إسفلتًا
وطلولاً، ورعاةً للطاغيةِ، ورسّامي مذبحةٍ، ووقودًا
للمدفأةِ، وعيّارينَ. إذن دعْهم في الخلفيةِ. واستنقذْ
ما بقي بصدرِكَ من أنفاسٍ. سبحانَ المبدلُ شأنًا من شأن.

عيد الموسيقى

الطبّالونَ حزينونَ
لأنَّ النّايَ حزينٌ،
والنّايُ حزينٌ من شِدّةِ ما باحَ وبُحَّ،
ومن طعنِ الحبلى،
ومن الشهداءِ المتراصّينَ كأسنانِ المُشط
بلا جبّاناتٍ،
والجبّاناتُ غَدَتْ تمشي فوق القدمين،
محملةً بالطبقاتِ، وبالقوميةِ، وخُضارِ الأكلِ،
لأن الطبّالينَ حزينونَ،
وحزنُ الطبّالينَ ثقيل.

ديـــوان

عيدُ ميلادِ سيدةِ النَّبع

(٢٠٠٥)

كتبت هذه القصائد في الفترة من ١٨ سبتمبر

« ٢٠٠٣ » حتى ديسمبر « ٢٠٠٣ ».

تحيةٌ وعرفان

يقدم الشاعر الشكر إلى الهيئات والأماكن التي ساعدت على إنجاز هذا النص:

ميدان التحرير، المجلس الأعلى للثقافة، جسر السويس، نقابة الصحفيين، تنظيم حدتو، جائزة العويس، قرية الراهب، حزب البعث، شركة ڤودافون، أتيلييه القاهرة، شاطئ أبو يوسف، جامع عمر مكرم، هندسة عين شمس.

ويخص بالامتنان العميق قسم شرطة النزهة الجديدة للدور البارز الذي قام به، من أجل ظهور هذا العمل إلى دائرة الضوء.

وينوه الشاعر بأن الشخصيات في هذا النص هي الشخصيات الواقعية عينها.

فليتحسّس كلٌّ منّا رأسَه.

وليفحّص واحدُنا نفسَه.

قطفُ توتة

مرت الأربعون في صُدْفةٍ،

مرت الأربعون كما يمر النبي فوق براقهِ،

مرت الأربعون كقطف توتة.

باسم الرياضات شدتني رخامتاها،

فأدركت أن المرارات - ككل موعظة - إلى زوال،

وأن الإله كامنٌ في السياسيين.

لذا انشقت مدقات عديدة للركض.

ثمة رجل لا ينام الليل إلا إذا مشت

سبابة على شفرة،

وذاك يعني أن حربًا مع الحياة سوف تحط أوزارها،

ثمة امرأة سجَّلت رسائلَ الحبيبِ على آلةٍ،

وذاك يعني أن عمرًا إضافيًا سوف يعطى لمبتوري

الذراعين،

وأن الفرادة ما تزال متروكةً على المائدة.

المرحلة الزرقاء تومئ أن السيدات سوف
يكتشفن الأنوثة،
وأن الرجال المحزَّبين سوف يكتشفون الذكورة،
لتنجلي على السطوح شمس المعارف.
نتذكر الشموع والدبدوب ولطمة الصبا،
لنعلم أننا مُلاّكُ ما ينبضُ أسفل الكوعين،
أما الدراما فلها ربٌّ يحميها.
هذا القمر صحنٌ غويط
ينوسُ فوق هامات موزعي خامةِ الشر،
سوف نملأه بالأرز والبطاطا والبقول،
ونوزعه على عمال طائفة المعمار،
والانتحاريين،
وصانعي العاهات،
ثم المروحيين الذين مرت بهم الأربعون،
كما يمر النبي فوق بُراقه.

مركبة سوداء

لابد أن شجرةً هَوَتْ وأن عجوزًا لم يستطع الإفلات من شظيةٍ، وأن بقرةً أصيب ضرعهُا فانسكب اللبنُ والدّمُ على رملٍ محترق، لا بد أن عاشقًا لم تسعفه يداه على إبعادِ رصاصةٍ عن حلمةِ المحبوبِ، وأن مسؤولاً قياديًا فر في مركبةٍ سوداء، وأن شجرةً أخرى هَوَتْ. إذن، تعاليْ نصمت بعض الوقت، تعاليْ نمسّدُ صدورَنا المرتعشةَ بأيدينا المرتعشة، تعاليْ نستمعُ إلى مقطوعةِ «العامرية» لنصير شَمَّة.

سیجیئون فرادی

سيجيء الفندور المتلعثم، ويجيء الجنرال المعطوب، يجيء المتوكِّلُ يحمل سبعين قصيدًا،
ويجيء رئيسُ التحرير المتصابي، ويجيء المتأنقُ، والشحرورُ ربيبُ الشحرورةِ، وعلى الأسطح تتناثرُ ربطات الأعناقِ.

الفندورُ المتلعثمُ:

مفترع الرقة، أسطى الإخلاص النادر،

صاحب دكان الرومانتيكية عند الناصية،

حليميُّ النزعة يخرج من «أهواك» ليدخل في «ظلموه»مع النهنهةِ وشفطِ الشدقين، ممثل عَشري السترة في مسرح مدرسة التوفيق،

المهتز، المحزون الأبدي، وطفل خطيئة أبويه.

الجنرالُ المعطوبُ:

هو الفاتن والمفتون، المتأني،

دوبلير الخالِ ودوبلير العمِّ ودوبلير الأنموذج، خريج معاهد تقدير الموضع للرجلِ قبيل الخطو، ومخترع التؤدة في نسج الأنشوطة،

خصم الرفقاء المضمر،

كاهن قداس الأحد،

منسق نظريات الخفية،

لبلاب الشعر، المحترم، المأساوي اللابد،

ثاني اثنين إذا انكمشا أو فردًا في غار الدس،

الحاكم والمتحكم والمحكوم،

حكيم المقهى في شرق العاصمة،

يسير كفاروقٍ، يتفقد سرب المفتونات بساقيه، ويتهيأ للإغفاء.

المتوكِّل يحمل سبعين قصيدًا:

رجلُ الساعةِ، حابك طاقيته بلطافة رواد الكوميديا ووسامة
شهداءِ الفكرةِ، حاملُ أختام الشرع،
المستوثق أن كتابة شعرٍ نثريٍّ أسهل من مخطة أنف،
ولذا يمكن أن يكتب سبعين قصيدًا في الليلةِ، إذ يتمخط
سبعين مخاطًا،
وحقيبته ملأى بالأنواع الأدبية،
هذا شعر تقليدي،
ذا شعر تفعيلي،
ومقالات في مسرح شوقي،
جنب الأمشاط،
الفلايات،
وجنب عذاب القبر.
رئيس التحرير المتصابي:
سيد أهل الجنة،

محتكر قضايا الفلاح بأسيوط،

المتوزع بين الضباط الأحرار وهنري كورييل،

الزلق، المتملق، تبّاع الجمهورية،

ضارب دفّ الرقصةِ بالمنزل،

والمتحوط بالثرثارات يشنفن الآذان بلحن مديح الظل العالي،

المتخذ السمت،

الداعي اليوميّ إلى الأوبرا،

مندوب يساريين لمأمورية وضع التاريخ الطافح بالدم على مائدة الوزراء (خصوصًا إن كانوا تشكيليين)،

المتلمظ،

والخائف من ميل الشعراء إلى الشعراء،

المتألق في المحفل بوسامِ كفاحِ الطبقاتِ العاملةِ وسلسلة قطار الواحات،

الماسك بمهارة بلياتشو الشعرة بين الشعب وبين السلطة:

إن أرخى شد،

وإن شدت أرخى،

المستخدم منبره في همزات الوصل،

نقيض التحرير وإن كان رئيسه.

المتأنّق:

ذو الطلة والمنديل المتعطر والأحذية اللميع وفازلين الشعر.

الشحرور ربيب الشحرورة:

ذاك هو الشحرور ربيب الشحرورة.

كانت ربطات الأعناق تطير على الأسطح، في الربطة رقبة صاحبها المجزوزة عن جثمان السيد، يقطر منها الشحمُ الأسودُ والدَّمُّ المتجلط وبقايا العفنِ المتناثرِ عن جثثٍ ضمخها روثُ النفسِ.

الأصابع

كنتُ حائرًا في الوسيلة: هل أستخدم أصابعي، أم الحاسب الآلي؟ قال صاحبي: المحنة الحياة لا الموت، ثم فحص ثلاثة أرباع القرن التي يحملها على زنديه، وابتسم كمن يشك في حكمته، فكففت عن عد أمواتي، خشية أن أخطئ في العدد. كانت سقارة مترامية، وأبو الهول يسخر من كلية الإحصاء.

تجد نفسها بديلاً لأخوان الصفا

تسألني عن الآخرة والمعاد،
عن كعبِ الأحبارِ وبضاضةِ الحرائر.
ثم تجرِّب أن تنطق اسمي مجردًا من شوائبه القديمة،
بينما أرمق أزرقها الشفيف،
وحوضها الذي يترامى كمشوار سني.
تغوص في القراءاتِ السبعِ وأنواع التلاوة،
تغوص في الرماح التي عليها المصاحف،
وبيننا يتيمة الدهر،
وحينما تصعد الكمنجات ترى نفسها فوق السجاجيد،
مقنوصة كنورس هامدٍ على الرمل،
وعندما توغل في بلاغاتِ أهل البيت،

تجد نفسها بديلًا لإخوان الصفا

فتهتف:

يا حلمي، كن لي مِلْكًا أو مَلَكًا،

لعلني أشهد الصبية غير غرقانين،

وأشهد الزمن غير شص،

وأشهد الأهل غير جزارين.

ألم تقل لي:

نقرة الإصبع خير من الدق الثقيل؟

التكنولوجيا

أنتِ خائفة عليَّ، لأن آلافَ الأطنانِ تنهالُ على رأسِ شخص وحيد على بعد آلاف الأميال. أنا خائف عليك، لأن جنودًا يلبسون سترات سوداء، يضربون الشباب في ميدان يبعد عنك بعشرين ميدانًا. هو خائف علينا، لأن قاذفة ستقتل شاعرًا راهنا عليه في شط العرب. هما خائفان على فكرة البيت، لأن النيران الذكية ستصهر خاتم الخطوبة. هم خائفون على عيون البنات، فبدونها لن يستطمن البكاء إذا هاجر المحبون. نحن خائفون عليهم، لأن التكنولوجيا تشفط الأرغفة. الخائفون مئة، أولهم زبائن البورصة.

عويلُ حاملاتِ القرابين

تُفْتحُ الستارةُ، فيظهر الممثلون من غير آعناق، ويظهر الملقن من غير لسان، ويظهر مهندس الديكور من غير بطن. الإضاءة سوداء، والبطلة مدهوسة تحت أقدام النظارة، بجلدهم المسلوخ وصراخهم الذي ينزل إلى أمعائهم، فتنداح آمعاؤهم في الكواليس، بينما المقاعد القطيفية تملأ الحلوق، ثم تبص قوائمها من المؤخرات لاطمة وجوه عاملات التذاكر والعابرين في الطريق. دقت الدقات فدخلت حاملات القرابين:

حاملة أولى:

عاشقة الجنرالِ المعطوب،

مجاهدة من أجلِ عوانس قلب القاهرة،

محجبةٌ سافرةٌ،

باقيةٌ، ومسافرةٌ،

يطفر من عينيها حسد رباتيٌّ وشخوصٌ

دونيُّون ولمحة قهر غائرة،

يضنيها دور الكومبارس، فتجلس عند الأبوابِ المغلقة تذب

الخطاب وطلاب القرب بطرف منشتها.

حاملة ثانية:

فنطاس، وعلى الصدر البرميلان،

ينزّان الزيت فتنزلق الأقدام العابرة،

المتلمظة على صيد صغار السن،

وريثة سيزا نبراوي،

رايتها: ما لم يتحصل بالعلم نحصله بالفخذين،

وأخت الغندور المتلعثم،

ونش الفيمينزم،

وذات الثقلين،

ترى بجنوب الوادي وهي مرسخة في الشرق لفرط تشعب

شدقيها المقتدرين.

حاملة ثالثة:

نيئة،

متبوئة ما لا يتبوأ،

مسئولة قسم التثقيف،

الزربة في التفريق الباهر بين المطبخ والقصص،

النيئة،

رهان رئيس التحرير المتصابي،

والمتوترة إذا غاب عن العمل الحلاقون،

وصاحبة القول الفاصل في علم النسونة،

النيئة،

ستنضج إن تُركت في التبن ثلاثة أيام.

حاملة رابعة:

الأرملة الطربة،

سيدة بيوت الخلق،

الماكرة، مدبرة المنزل، والشاغلة مكان الأم،

صديقة أشيائي لا خادمتي،

متعددة الأوجه،

يشريها الشرّاء بفلسين،

المستضعفة إذا غابت والمستقوية إذا اغتابت،

طابخة الهمزة واللمزة،

والمحّاكة،

عيّنةٌ الطبقات الرثة مما تفني من أجل كرامتها العمر،

وصانعة الشيشة للرجل الجاثم في الركن بوضع اليد،

المتدربة السابقة على الغمز،

المضطرة أن تمدح محتقريها حتى يجد الأطفال عشاء،

تمشي في البيت وفي القلب كمالكة،

فلماذا خانتني الأرملة الشاغلة مكان الأم؟

حاملة خامسة:

قائدة تريللات المنطقة،

مؤسسة البرجين: طبيب ومهندسة،

حاضنة يتامى قصر البارون،

الأم شجاعة،

ومحركة السواقين بخبرة ملك الأورنس،

ست البرين،

القبضة إذ تتحكم في الحاكي لابنته قصص الخلفاء وفي

الطفلة حين تشب الحلمة.

قامعة بالوهن على وهن،

خاضعة بالوهن على وهن،

آلتها المسكنة وغايتها الهيمنة،

وطاهية الرحمة في القدر،

وتاركة الابنة في جرستها تقليلاً للتكلفة،

حليفة قيح الأنظمة وقيح المغتصب مدبر أغلى صفقات السوق:

الشعر بمقابل هتك العرض،

المنتجة الضدين:

استبداد بالدمعة واستبداد بالحرمان من الإرث.

سلام للوالد فوق المئذنة يؤذن لصلاة الفجر.

معجزات

يصنعان معجزات بسيطة: يطبخان الثريد على شمعة، يهملان مكتبة الإسكندرية، يصلحان شيش النوافذ باللمس، يعرفان أن الغريزة مشكاة في زجاجة. يصنعان معجزات بسيطة، مع أنهما لم يكلما الله على الجبل، ولم يشفيا الأعمى والأبرص، ولم يتلقيا «مرج البحرين يلتقيان» جوهر الحال أنهما يستخدمان الأسنان في صناعة العلامات، هازئين بالسيمولوجيا، ثم يمشيان في الأرض مرحًا، حاملين مشكاةً، وحينما يقلقهما جواسيس التكنولوجيا، يتلوان «موقف بحر»، عند ذاك تتضاف للمعجزات البسيطة معجزة قهوة الصبح.

سيجيئون زرافات

سيجيء الفنان التشكيلي المتهندم ذو الغرة،
والمعماريون السعداء، يجيء أكاديميٌّ أحول، والبتروليون،
أطباء التوليد الشرفاء، يجيء بلاغيُّون نحاة، والمتأفف،
جمعيات السمسرة، وفوق الأسطح تتناثر ربطات الأعناق.

الفنان التشكيلي المتهندم ذو الغرة:
تلقاه إذا صادفت الفنان التشكيلي الرث،
المتفجر بعطاء الله،
الصانع من برادات الشاي المرمية مدناً من هول بشري،
مبتدع الخيبات،
الضحَّاك الأشعث.
المعماريون السعداء:

أساتذة الإحداثيات،

ومبتكرو منهج «حبس في الصبح وورد في الليل»،

المتفعون بقانون العفو عن الفشاشين بخامات الصلب،

المتّجرون ببسمة سيدة النبع،

ونساجو فخ الكافيتيريا،

خلاطو الأسمنت لبيت الطاعة حتى لو منعتهن

عن الشفتين المرغوبات،

وصُنّاع الجرسة في مختتم النص،

المستوثق واحدهم أن السيدة المطعونة ذات الأنفة

ستقول له بعد الجرسة بسويعات:

«خد بالك من نفسك

يا صاحب حبس الصبح وورد الليل».

أكاديمي أحول:

الحول طريق في الروح،

هو الصب،

شقيق الشحرور ربيب الشحرورة.

والقاعد في مقعد طه حسين،

صبي المعجزة المتكلم في اللغة،

وإذا الحول طريق في الروح فذاك هو الناعم،

والمؤتمن على أجيال إذ كاد يكون رسولاً،

بواب أبوللو،

الراغب في طفل حتى تكتمل رسالته في التربية وفي التعليم.

المتناهي في الصغر فلا يلحظ بالعين مجردةً،

والجالس فوق منصته كالمتناهي في الكبر فليس تحيط به الأعين،

معشاق أجوف وسليل المعشاقين الجوف.

البتروليون:

هم البتروليون، تراهم إن قابلت نقيض البتروليين: خصوم حضارات الخيمة، والمستغنين عن البتروليين.

أطباء التوليد الشرفاء:

ثراة القوم،

المنتعشون إذا أنّت سيدةٌ من ألم الرحم،

وأولاد الحسب النظفاء،

ومحتجزو الشقق المفروشة،

خطافو الميراث من البنت المتوحدة،

إذا مات جنين أو عاش انتفخت بالسحتوت خزائنهم،

والمفتخرون إذا قطعوا عن كادحة سبل الرزق

فهذا شرف المهنة،

حلفاء المعماريين السعداء،

الأرقون من المستقبل،

وخيال مآتيهم: ماركس.

بلاغيون نحاة:

قلقون القلق السينمائي،

الفلاحون إذا صاروا في الدست،

المتقنع واحدهم بالفاقة حتى يظفر بنصيب في مائدة الرحمن،

رديفو يثرب ويشنون الحرب على السلفيين،

الشكاءون البكاءون الحكّاكون،

المخترعون مشاريع مزوقةً حتى يلتقطوا الفتيات الحرّات،

المنفق واحدهم عمرًا في التركيب اللغوي

لكي يعلن لقرينة سيدة النبع:

«أنا أشتاقك كامرأة»

ثم يعذبهم فشل في رد العجز على الصدر.

المتأفف:

هذا العافّ عن المغنم في العلن،

الراديكالي كمنشار القديسين طلوعًا ونزولاً،

صارف تأشيرات الوطنية وتصاريح العفو،

العاقد صلحًا بين الصالح والمصلحة،

المختلف عن الجمع:

فهم ينون وهذا العاف عن المغنم في العلن يقوض كالمنذورين،

الناشز، وهو المندرج عميقًا من خلف الحاجز،

فهو أُخَيٌّ منسِّق نظريات الخفية.

جمعيات السمسرة:

تضم الغندور، الجنرال، المتوكل، ورئيس التحرير، المتأنق، والشحرور، المتهندم، والمعماري، أكاديميًّا أحول، والبترولي، طبيب التوليد، بلاغيًّا،

والمتأفف، وعلى الأسطح تتناثر ربطات الأعناق، وتتناثر خصيات، ودواجن مهريات، ومفاتيح خزائن، باروكات، أطقم أسنان، أجهزة للتخسيس، وقطع من حلوى تنغل فيها البكتريا، وفتات من أرغفة سابقة الأكل.

خَدْشَةُ الفَخِذ

الأحوال كلها مرتبكة، حتى نوم سيدة على كتف رجل يزيد الأحوال ارتباكًا، لأنه يحول الأنفاس إلى فأس، وصدر الرجل إلى شكمان. غير أن المفاضلة بين الدراجات والمراجيح، ستغدو عقدة عصية. ففي هذه موت بسكتة القلب. وفي تلك موت بتهشم المخ، وليس من رابطٍ بينهما، إلا خدشة الفخذ. ألم نقل إن الأحوال كلها مرتبكة؟

اللـوح

كان البحر مفاجأةً، وخرير البدن مفاجأة وهسيس الحلاج على خشبِ الصَلْبِ مفاجأةً، ومقاومة الحرس الجمهوري لنيران الغزو مفاجأة، والمطر مفاجأة، لكن لسان المرأة وهو يبلل في الليل فنار الإسكندر، كان مُعدًّا في اللوح المحفوظ.

لا تُحْتَمَل خفته

الرجلُ المكسورَ

المتخفي في بردةِ أهلِ المهجر،

حين يهزّون النخل،

وحين يهزّون التوتَ

كان يسامح منتهشيه

برفعة مشائين،

وينسى بعض حوائجه في الملكوتَ

ثم يهندسُ صمتَ الدنيا

في دنيا الصمتِ

ويهزأ بالرهبوتِ وبالرغبوتْ

ويظل يعيش على أضلعه،

مقتاتًا من قلق الياقوتْ

يمرق هونًا،

يتوقف هونًا،

يرقب فوتَ الأزمنةِ الغضَّة

حين تفوتْ

ها هو ذا الرجلُ اللامتكلم

إلا للداخل،

والصامت في صمت،

والجائش وهو صموتْ،

يُلقي لخفيف بين خفيفين

تحيته

ويموتْ.

غَـزُول

فريالُ تبكي لأن أهلَها تحت رحمةِ الراجمات، تبكي لأنها لم تطفئ الجمرة الخبيثة، تبكي لأن ابتسامتها لم تمنع نشأة الطغاة، تبكي لأن السيّاب لم يعش حتى يرى الأحباب يقذفون المحار والردى، تبكي لأن الشناشيلَ مردومةٌ في نينوى، حيث إن ماركس لم يعلّمْها قراءةَ الكفّ. السيدة التي تشبه جلجامش في النهار، وتشبه عشتار في الليل، ماذا تفعل الآن بالتفكيك، وقد رأته يسري في المحافظات الثمانية عشرة؟

نَسْجُ القمصانِ أثناء مرورِ الجنازات

تمرُّ الجنازاتُ أمام عينيها:

جنازةُ الحب وجنازةُ الكره،

جنازة الحب عامرة بالنعوش البيضاء وسعفات النخيل والحوامل وأطفال الكنائس الذين يخفون المعاصم خشية احتقان الطوائف.

جنازة الكره عامرة بالمرابين وأشجار الزنزلخت والبيارق السوداء والعموديين والصاغة والحاصلين على جوائز التفوق.

فتنخرط امرأة في نسج قمصان العرس.

تمر الهوادج أمام عينيها:

هودج للفتاة التي طردت حرافيش العائلات من حفل الخطوبة حتى لا يغيم الطقس،

وهودج للسيد ياسين،

وهودج للجنة الإفتاء التي صادرت الوليمة،

وهودج لاكتئاب المخدر الكلي،

وهودج للأنثى التي أرسلوها إلى المورستان،

وهودج لأمنية المهندسات بالهودج،

وهودج لزاهية.

فتنخرط امرأة في نسج قمصان العرس.

تمر الأحذية أمام عينيها:

حذاء للذهاب إلى سور الأزبكية،

وحذاء لالتقاء الأب قبل طيرانه بيومين،

وحذاء للوصول إلى قاعة التصميم،

وحذاء لدخول التواليت من أجل التنفس،

وحذاء لتعليقه على الحائط درءًا للمكاره،

وحذاء لسندريلا.

فتنشر المرأة القمصان على أمعائها وقد غدت

أمعاؤها حبلًا للغسيل:

فقميص للعمة:

وهي المهمومة بمصير الجيل الصاعد،

حين تقدم أوراق الترشيح الرسمية لرئاسة مصر لكي تنهي سيطرة العسكر

ثم تعزّي المكلومين،

الدرويشة،

تنصح وزراء التخطيط بضبط الطلقات،

وتبكي في الليل إذا انفردت بسعاد،

أو انحازت لامرأة تأبى السير على مسطرة،

أو داهمها طيف المحبوب.

قميص للخال:

الرقمي المرهف،

والمستغني عن طغيان العائلة،

الخل، الخلو من اللكنة وهو يضم بنات الأسرة بحنان الرشديين،

ويطلق صيحته «كونوا غيريين وأغيارًا وغيورين»،

هو الأصل نقيض الدوبلير،

يبث طمأنينته للقلقين ويستبقي الشك بجيب الساعة،
ثم يطير إلى البنك ليفحص عاطفة الأحباب
بمقياس الوارد والصادر.

وقميص للريفية:
ملك، الحانية على ابن أبيها وعليٍّ،
شبيهة زاهية إذا ضمتني
وشبيهة زاهية إذا باحت لي بالمستتر،
المرتبكة في بسط عواطفها المرتبكة،
كانت تشرح لي كيف هوت بلطتها في رأس فتى سيصادفني
في الصحراءِ فلا يغفو إلا إن مرت سبَّابته فوق الشفرة،
أعطتني الثوب وإبريق الشاي،
دعت لي أن يهدأ سري وينير الله طريقي،
كانت تشرق وهي تخمن أن أخاها عندي في منزلة بين
المنزلتين: أصابع قدمي ومفترق الشعر،
رمت أقراصًا في الفرن فنضجت أرغفةٌ واحمرَّ الخدان.
لقطتُ الفكرة خلف الجغرافيا:

هذي الأخت مضاعفة،

أختي الطارئة، وأخت فتى سيصادفني في الصحراء.

قميص لمحمد:

ساعة ينشقّ البدن المرهق عني،

ساعة أتشكل من ماء الظهر إذا سال من الترقوة إلى عضلات الفخذ،

وساعة يقصص لي أمثولة يونس والحوت،

وكأكأة الإخوان على يوسف،

ساعة يخلو البيت من الكحة والنحنحة وحضرته،

ساعة مات وما مات،

لأن المرعوبين من الرقة قصوه من الدفتر والغرفة وعيون البنت،

وساعة يتنحى حتى تصعد فلذات فوق السلم،

فيما يهب أبوته لصبايا النجارين وصبية باب الشعرية،

يقرأ حاميم،

وقبل الطيران يمسِّد شعري ويتمتم «صرت اليافعة»،
ويعفو عن قاتله ويعدد نعم الإقصاء،
وساعة ظل يجيء مع الحلم ينجّيني من هجمات البرص
ويترك فوق سريري عنبًا وأرانب ونصوصًا للإثنا عشرية
وقلائد من صدف البحر وصورًا بالمريلة وشيئًا من سمرته.
عاتبة يا بن الجد،
وعاتبة يا جد الولدين.
لماذا سلمت الركع للمرعوبين من الرقة ونجوت وحيدًا؟!

وقميص لحبيبي: عمر،
الواحد بين الكثرة،
صدر الأطفال الأعظم،
والمتوحد إن ألهى الأتراب تكاثرُهم،
يبني في الليل المستوصف والعاصمة وجسر العودة ومطارات
وحدائق بابل،

ثم يهدمها في الصبح، وحيدًا،

فهو الوحداني المتربع،

حملته البطن بتهديد الأسلحة فأسر القلب بخبث مربعه الخشبي،

أليس الفرداني؟

إذا صمت تكلم كون وإذا اعتكف انتشر المبذولون،

المُتَفَرْدِنُ،

نقض الثرثارين، حبيبي،

حين يباشر خلوته فهو المتصوف من غير الجبة وهو صغير المعتزلة،

أفنيت السنوات لأتعلم كيف يهشم توحيديٌّ توحيديته حتى صرت المتوحدة الواحدة،

حبيبي، كشاف الوقت،

المترفع،

ينكر مهووسون مجال يديه الحيوي،

فأصرخ: يا وحدك يا وحدي،

بدّك الآب وبدّك الابن وبدّك الروح

انهض يا تاج الرأس وخذ ماء العين لأصنع كثرتك بقطع من جسدي،

سر في طيبة حتى يتقاسمك البسطاء،

وإن هندست قطارك بتوازن روح مُلهَمةٍ سيّرهُ بميدان العتبة،

كي يتخاطفك المبتسرون وتسهم في الأحداث.

حبيبي،

هل شاهدت وحوش الربع الخالي يغتصبون الوالدة بليل،

فتكمشت وصرت وحيدًا وحدانيًّا مثلي،

كي تدمغ ثيران البطش؟

حبيبي: يا وحدك، يا وحدي،

قم، أمك ما عادت مغتصبة.

مجذوبون

بفضل وخزةِ الألمِ كان المشتكى صعبًا والمتوحدون سكاكين على الرقاب. قبالة المحراب صاح مجذوبون: مدد يا رئيسة الديوان، بينما صفرة الموت ترفرف على عمامة المؤذن، والمجرمون يفرون بعد القتل.

بائع السر

عندما مسحت شعرها قصف العدو معمل التكرير، عندما مشيت بالكف على بطنها انتشر المشاة في البر، عندما تلامست شفتانا بدأ الغزاةُ تمشيطَ الجنوبِ. هل اللقطاء خصوم الهوى؟ غير أنني عندما أرحت رأسي بين ساقيها رأيت الحسن البصري والرشيد وابن عطاء طائرين على أبسطة خضراء مسنودة بسعفات ضعيفات، ورأيت الخط الكوفي وسركون بولس وأعوان نبوخذ وهاشم شفيق

يرصون جثثاً ويعتقون الجواري ويرسمون على الأباريق وجوه الضحايا، ثم يدلقون الأباريق في جذر صفصافة القبور، قبل أن يدخلوا في جبّة كبيرة ويرتفعون.

مسحت شعرها فدخل الزيت حلقوم العدو، مشيت بالكف على بطنها فساخ المشاة في البر بتأثير بحة الناي، تلامست شفتانا فخر الغزاة ساجدين. نعم، اللقطاء خصوم الهوى، وحبيبي باتع السر.

الحصص

كنت هنالك،

حين ازدهرت حنجرة أبيك على المئذنة

مؤكدة أن الله هو الأكبر،

كنت هنالك

حين تكومت على زنديه أمام القبلة،

وهو يربت بالكفين المعروقين

على خديك المصقولين،

ويصفح عن قسوة أم

علّمت ابنتها حصص المدرسة

وحجبت عنها حصص الدنيا،

فكأنّ أعطت شهوات العلم وأخذت شهوات الجسد،

فخار البيتُ،

هنالك كنتُ

أخبئ نفسي خلف الميضأة،

وأرقب حشرجة الروح المهتوكة

وهو يغادر سنوات الخدعة،

مسرورًا أن يملأ عينيه المرهقتين بزهر صباك،

وكنت أهم بأن أهتف فيك:

«السيد ما مات»،

ولكن خروج السر الضائع كبلني

فبقيت وراء الميضأة

أسجّل ميتته الثانية،

وأحسب عدد الدمعات السائلة

على خديك المصقولين.

الثناءُ على السرطان

همَّ عن فراشه فرأى المحيطين يضربون الدُّفَ،

عاد للرقاد،

هلَّت سيدة بحلقانها لتعطيها للأطباء،

هل الحواريون ومعهم بنات الرب،

بنات الرب كنّ يلبسن أثوابًا من المهل،

وخلفهن حاملو المزامير ينفخون النشيد الختامي،

وأمامهن الشعراء يرفعون المباخر ثم يطلقون الدسائس،

كل دسيسة مطلية بالسلام الجمهوري وغزل العذريين،

يخلعون عن بنات الربِّ أثواب المهل ويلبسونهن أثواب مهل غنائية، حتى يوقعن:

«أيها الملفوف في إهابه

الطين في ترابنا والتبر في ترابه

شبابنا العقيم فدية إلى شبابه

ليتنا أكلنا من رغيفه أو شربنا من شرابه

رحابنا الرحيب راح في رحابه»

همَّ عن فِراشه فرأى المحيطين يضربون الدف،

عاد للرقاد،

أخرج أمعاءه على الملاءة كي يحصي الخلايا

ويحط إصبعه على موضع الخبث كمن يفقأ الدمامل،

يضاهي الكرات بالكرات ثم ينثرها على الحواريين،

ثم يجري في العنبر الطويل وخلفه الأمعاء تجري على البلاط،

فوق كل بلاطة تتكاثر سبع خليات،

حتى فاض سرسوب من ماسورة السطح على الكورنيش

والعشاق والذاهبين إلى الوظائف،

وهو يهز السيدة التي باعت حلقانها من أجل الجراحة

صائحًا: أنت نادين،

ويهز السيدة التي تعود بنتها القعيدة

صائحًا: أنت نادين،

ويهز الطبيبة التي تلم الشعر المتساقط عن رءوس الكيماويين
في الغرف
صائحًا: أنت نادين.
الحواريون كانوا لائقين للملعب،
عرُّوا مؤخراتهم للممرضات السمينات من باب التعاطف،
وراحوا يعدون القصائد استعدادًا لليلة التأبين،
فيما الخلايا ما تزال تطفح حتى أغرقت فم الخليج،
بينما الحواريون يشيرون إليَّ: جاسوسةً،
ثم يزوّرون شهادة الخدمة العسكرية إذ أنوفهم حساسة
لدخان المدافع،
وعيونهم حساسة لمشهد الشهداء،
بناتُ الربِّ يصعدن إلى المقطم
يغسلن أدرانهن ويأكلن أوراكهن ثم ينثرن العظام على
المترجمين وأصحاب الشفاهة،
يخلدن للمغارة التي تصير العظام فيها رميمًا،
قبل أن يجهز الحواريون المحفة للقطب،

همَّ عن فِراشه وناداني إلى جواره،

وطفق يتمتم وهو يخلع الطاقية عن رأسه المصقول،

وينزع المحاليل عن معصميه:

«يجمعك بنادين شفا الجرف

وتجمعك بنادين كراهيةُ الطّعنِ من الخلف

ويدنيك إلى البعد عن الصف

ويقصيك عن الشطار العيارين الكتبة

تقديسك للحرف

أولئك حلف الدسّاسين فلا تنضمي للحلف

بنات الرب ينادين عليَّ،

سلامًا للنسيان،

اتخذيني طيفًا أو بعض الطيف

ولمي ما يتخلف من هرس خلاياي،

إلى أن يأتيك رسولٌ من عندي أو ضيف»

تـراب

جاء العباسيُّون إلى الصفّ: المهدي إلى جانب بشار، وصفي الدين الحلّي إلى جانب زرياب، سيد شهداء الجنة جنب معاوية، جاء الأمريكي المتعلم في السوربون مبادئ ڤولتير، وجاءت ملكات جمال الكون بخصلات متطايرة، ومشاة البحرية يندهشون، أتى تجار العجوة، بياعو خمر الموصل، نجارو ساقية الحقل، وأحصنة من طروادة، نسى المهدي هجاء الشاعر، نسى الشاعر سيف خليفته والنطع، فجاء الديكارتيون، ورضوان الكاشف، والتكفيريون، وصاحب إيقاعات النمل، وطلاب أبي قير، البعثيون، وجمعية «جدات ضد الحرب»، وحمدين صباحي، وشيوعيو ٥٩، وخريجو

النجف الأشرف، ومشاة البحرية يندهشون، أتى التكمييبون، ورقاصو التنورة، وحمورابي،

جاءت فتيات النثر: سهير وفاطمة وميسون وزهرة غادة وحبيبة ومرام ولينا وجمانة فوزية وعناية آمال وظبية، يتقدم خطوتهن كهول أولهم إبراهيم شكري، ومشاة البحرية يندهشون، سيسطع في الصف المقهورون وسيدهم ذو النون، ويسطع في الصف القهارون وسيدهم جعفر والمعتصم، يرفرف بن عربي والبياتي ورعاة العزلة، ومشاة البحرية يكتشفون: هنا الصدمة والرعب، هنا الهدم يوحّد بين الطاعن والمطعون دفاعًا عن كومات تراب، نحن المرتزقة لا نفهم كيف يموت الفرقاء لأجل تراب يعلو فوق تراب.

تجديدُ محاكمةِ كافكا

كان التابوتُ أنيقًا

مطروزًا بالخرز الأحمر والأزرق،

ومحلى بفيونكات مشبوكات بفيونكات،

يمتنع على البنت اللعب بآغطية الكوكاكولا.

ويباح الأكل بميعاد والموت بميعاد،

يمتنع على البنت مخالطة الجيران ولبس الشورت، مجالسة الأب المتبسط وقراءة رأس المال وفك الشعر.

يباح الدرس وحفظ النظريات، تلاوة ياسين وتربيع الطاعة،

يمتنع على البنت الشباك وفيلم السهرة ونزار قباني، ماجدولين، واظهار السمانة، والقمر، السوتيان، وإدراك الآخر.

ويباح اللبن الطازج، والسير على المنوال،

الكمشة في الركن، الرعب من الرغبة،
والبهجة بالقفص، وبزّ الأقران، وتنزيه الأهل.

أنا كنت الهاربة من التابوت إلى التابوت،
وكان التابوت أنيقًا،
مطروزًا بالخرز الأحمر والأزرق،
ومحلًّى بفيونكات مشبوكات بفيونكات.

يمتنع على الزوجة أن تستغرق في الحلم،
وأن تفحص في الليل عذوبتها،
أن تتودد للغرباء، وأن تعطي قبلتها للابن،
وأن تتحدث في الهاتف بحبور الفرحان.
يباح لها أن تستلقي ليصب الرجل مياه النار وينهض مزهوًّا،
أن تتقيأ بعد مياه النار،
وأن تتقبل بالنفس الراضية الحبس.
ويمتنع على الزوجة أن تتحرر من ربقة إحسان المحسن،

أن تبني في الشعر الخص،
وأن تنتفض على دور الذيل،
وتفضح مصلحة الأسر المتكاتفة كبنيان مرصوص،
أن تتأوه في المصيدة،
يباح لها أن تذعن لمقايضةٍ طَرفَاهَا:
«الرقة قدّام النزلاء نظير الرق على المخدع».
آن تطعن نهديها بالسكين مقابل حريتها.
أن تشبع وهم الإبداع وترجع كالعبدة،
أن تجد تجليها في المشتريات.

يدخل أبناء السبيل، والمجذومون، وباعة الفل، وكتّاب العرضحالات، والسفرجية، والكهربائيون، والمسحراتي، وفاتحو المندل، يدلون بالدلو:

أبناء السبيل: بيديك صنعت التابوت وراء التابوت.
سيدة النبع: كان محلّى مطروزًا.

المجذومون: كل توابيت الدنيا ندم.

سيدة النبع: مطروزًا كان بخرز ومحلّى بفيونكات.

باعة الفل: كيف تبيعين الروح ببخس؟

سيدة النبع: كنت توسمت المملكة ستغدو الملكوت.

العرضحالات: لماذا أحكمت على الأنثى القفل؟

سيدة النبع: رأيت الناس وحوشًا بمخالب،

ورأيت بني آدم يحتربون على المتدنس،

ورأيت عذاب النسوة بالطمث وصرخات الطلق،

فأحزنني أن يسري عني:

ولها هَنٌ رابٍ مجسَّتُه صعبُ المسالك حَشْوُهُ وقْدٌ

فإذا طعنتَ طعنتَ في لُبَدٍ وإذا نزعتَ يكادُ ينسدُّ

السفرجية: أنت استطيبتِ شقاء الجمع لتنمدّي فوق السندس،

سيدة النبع: تلك سعادتهم وأنا أهوى إسعاد الخلق، وذاك هو العدل:

فصنف شغالون،

وصنف راءون،

الكهربائيون: وكيف قبلت الغصبة؟

سيدة النبع: يأسرني ضعف البشر الضعفاء،

المسحراتي: رهنت النفس بعفو السجانين.

سيدة النبع: أنا أغرتني الحسنى والمرحمة،

فاتحو المندل: تأرجحت وأرجحت فكنت القاتل والمقتول.

سيدة النبع: أنا المعفية من دم المطعونين ومن دمي.

المعاهدة

كان البحر مفاجأةً، والكف على الكف مفاجأةً، والسفر على جنح الليل مفاجأةً، أما الموتُ: فكان معاهدةً مسبقةً بين القاتلِ والمقتول.

شَرْحُ الحوائط

أغلقتَ بابَ الحديقةِ، ووضعتَ فيفالدي على الحوض، وتذكرت كيف مرت السنون من غير أن تقول لرجل: يا ساديُّ. كان الجلبابُ فضفاضًا، فأدفأتْ فيه القطط وأنثى الكلب، وحدثتْ نفسها عن المس الخفيف الذي يشرخ الحوائط، ثم ساخت قدماها في رمل يشبه أوراك العذارى. هي الآن تصنع قهوة لسيد على البحر يكتب: أغلقتَ باب الحديقة، ووضعت فيفالدي على الحوض، وتذكرت كيف مرت السنون من غير أن تقول لرجل: يا ساديٌّ.

مونولوجُ سيدةِ النَّبْعِ

سلمت العمر على عهد

أن نعلو عن تقسيم النوعين،

وأن نتلاقح روحًا في روح وفؤادًا بفؤاد.

لما سقط العهد سقطت،

وأسلمت النفس على أمل أن نجترح مثالًا للآتين:

فلا ذكر ولا أنثى،

ولا شهوات تورث صاحبها الذلة،

لا عري يعطل تاريخ الثوب،

ولا ريق يلوث بالريق وظيفته العلمية،

لما انهار الأمل انهرتُ،

وكنتُ دخلت الخية: فضياعي في المكث وفي الترك ضياعي،

صار الموت على وجهين: فوجه في كسر القارورة
والآخر في القارورة.
فتوحدت وأدمنت الصحراء،
مضيت أجر فلول الأجنحة،
تراءى النبع:
نصوص من عرفانيين،
وكِسرٌ من خبز، قُلَّل، وفطيرٌ بلديٌّ،
ذاكرة تصحو وتغيب،
أطباء يلفون الأغلال على ساقي لكي يتزل
أطفال القسر إلى صحراء،
قطعت معاوية وشعرته،
في الصحراء تبدي رجل يقترح وظائف أخرى
للريق وللشفتين وللرقبة،
كنت بنيت عقائد قلبي بيدي كما يجدر بعصاميين،
وحين تداعت كاتدرائيات طفرت غجريات
من عينيَّ وإبطي،

تعلمت وظائف أعضائي وانكشفت عن بدني غُمَّةُ بَدني،
فاندلعت في قصر المنتزه الجرسة:

فتيُّون ورفقاء،

وهستيريا في الشرفات،

وبوابون،

وأمناءُ الشرطة،

وتنابلةٌ كذابون،

وعمال مصاعد،

ملاك عقارات خالية،

وعطيل،

ومعماريون أضروا المهنة إذ هم

قوامون على النسوة،

ركاب المترو، ضباط فهموا اللغز،

وشعراء مهانون.

يعلمنا الدرك أصول الفقه،

يعلمنا الدرك اللغة العربية وخطايا اللبس،

يعلمنا الدرك كرامتنا المجروحة.

نفد الدرس وجفت أقلام الكتبة،

خسرتُ كل رهاناتي،

ولذلك: مسعاي الفهم وليس العطف،

وطلبي: الرحمةُ قبل العدل.

رقّةُ المخابرات

. يبيعون في المقهى التواريخ والشاي الأخضر والحوادث، تقترب الأنفاس البشرية من الأنفاس البشرية، تحكي امرأة عن المغني القديم الذي صار عنكبوتًا، بينما نهداها يرتعشان تارة خلف دخان النارجيلة وتارة تحت القميص الأبيض. حكى رجل عن جلطة الأم وعن رقة المخابرات فالتصق فخذها الأيسر بفخذها الأيمن وجحظت عيناها من الرعب، سألته: هل أنت المشاكس؟ أجاب:

إنني العابر الذي يحتاج أن ينام بمحاذاة حوضك العريض، إنني المضطرب الذي يود أن يهدأ على عمودك الفقري ثلاثة صباحات بأمسياتها، إنني المجرم الذي ينشد النظافة تحت لسانك المغسول بالسبرتو. يبيعون اقتراب الروح للروح

في كستبانات صغيرة. يبيعون البائعين والمشترين. يهبط المقطم إلى الحارات والمشربيات والقلوب. يهبط المقطم ممسكًا بخناق سعيد مهران وعيسى الدباغ وسيد الرحيمي. يهبط المقطم فتندلع أغنية «يا ليتني كنت الطبيب المداويا» بين شخصين جاوزا سن الغرام حينما تبادلا الراقصات النحاسيات وعقد الياسمين. هل أنت المشاكس؟ أنا من ضيع في الأوهام عمره، بينما هم يبيعون اقتراب الروح للروح في كستبانات صغيرة.

إعادةُ رسمِ الأعضاء

أراها في موقع الحدث

يحف بها المسطرين والمونة وقصعة الإفريز،

وحولها يتحلّق الأطفال يلقطون من يديها المنَّ والسلوى،

ويحملون ذيل ثوبِها باتجاه الفردوس،

الفردوس الذي لم تذقّه

لأنها تعف عن جنةٍ ليست من صنعِ الأصابع،

أضمها فأشهد ميلادين يخرجان من موتين،

أضمها فأشهد القوطيين وأصحاب الباروك والأندلس،

يفكون السقالات حتى ينضجَ المشمش،

فألقط العلامة: الرفقُ مأربُ الضحايا.

أراها في موقع الحدث،

تعيد رسم أعضائها وأعضائي،
بحيث يصفو مسقط الضوء من تلوث البؤبؤ،
لكي يصحح السرطان أوضاعه في بدن المحبين،
فلا تنهار الشرفات المعلقات على ريشة،
ولا يدب النخر في الردهة الداخلية،
ولا يسقط الرخام فوق رأس سيدة النبع،
الأشلاء منثورة في كل وحدة،
والجراح يقظانة تتدحرج فوق سلالم الخدم.
وإذا كانت الأربعون مرت في صدفة،
فيا سارية: الجبل: الجبل.

يرِثُونَ الأرضَ

كان النهدُ مصادفةً، وحنين المرأة لرسوم الإصبع في الرمل مصادفةً، ورداءة أدوات الطهي مصادفةً، والعتب على الأكراد وهم يرثون الأرض مصادفةً، لكن هديل العزلة كان القدرَ المقدورَ، وفرحَ المقرورين بمجد الصدفة، كان ضرورةَ جسدين.

المهزومون

يقولون ليلى بالعراق مريضةٌ، بينما الكربلائيون يلطمون الصدورَ بالجنازير والمجنزرات، ثم يعومون في دماء أهل البيت، عد يا علي، لكي تعلم الحداثيين درس الأرض الخراب، وكي يعرف الطاغوت إن خان معنى أن يكون فكيف يمكن أن يكون؟ عُدْ. لعل يبصرُ المتنورون أن المهزومين مئة، أولهم أمة بطبقاتها.

نشيدُ الصفْحِ

يا وردَنا هوِّن عليك

ليس الزمان خصيمنَا

فزماننا يمشي إليك

يضع المودة فوق جبهتك العريضة

ثم يصنع طيبه في مقلتيك

يصل الليالي بالليالي،

كي ينام هنيهة في راحتيك

يا وردنا هون عليك

اغفر لقلبك خفقه الهجام،

سامح ناظريك

إن شاهدا الحسن البهي فرقّقا،

واستعذبا الدنيا إذا وعدت

بعصفور وأيك

اصفح - بحق شجون عمرك - عن يديك

إن مسَّتا حجرًا فصار قطيفة

أو مرتا من فوق أعصابِ الحيارى

فاستحالت نغمة

واللحن نزّة كاحليك

ليس الزمان خصيمنا

فزماننا يمشي إليك

لهم الجواري المنشآت،

لهم قوارير العطور،

وعندهم جبٌّ الخزائن والكمائن والسفائن،

إنما العضو الجميل لديك.

يا وردنا هون عليك.

شكرٌ وامتنانٌ

يجدر التنويه بالفنيين المساعدين:

طهاة منطقة الحسين،

وراقصو التنورة،

ونادل مقهى المشربية،

والمعارضون العراقيون في لندن،

وسائق ميكروباص شبين الكوم،

وممرضات القصر العيني،

وسايس جراج البستان،

وعمّال مطعم مؤمن.

الموسيقي: الخليل بن أحمد،

والخوارج عليه.

كتابة العناوين:

الشاعر نفسه.

ديـــوان

مدائحُ جلطةِ المخّ

(٢٠٠٦)

كتبت هذه القصائد من فبراير إلى يوليو

«٢٠٠٥»

مُبْتدأ

إنها الرقيقةُ التي مبدؤها المَسُّ،
تطوفُ بالروح،
من أجل أن تجدِّدَ الروحُ نفسَها.
إنها الناعمةُ التي مُتكؤها الشعيراتُ،
حيث تسري تذكرةُ داوود،
من أجل أن تستيقظَ الشرارةُ،
كي يدركَ العشاقُ أن الدّمَ خَوَّانٌ،
وأن الرَحَابةَ
خدعةُ الكاظمينَ الغيظ.
ياسيدي؛
الخفيفةُ
للخفيفين.

ضاحية

المناوبُ الذي نصحَها
بإجراءِ رسم على المخ،
هزّتْه شهقتُها،
فهدّأ الرّوعَ كاذبًا:
إنها مجردُ «تنّش»
ستزولُ بعد قطرتيْنِ ورديتيْنِ
تحتَ اللسان.
وحينما انطلقتْ تنهبُ الأرضَ
في سديم الضاحية،
رنَّ في قاعِها صوتُ أخيها
حين حدّثها عن جاره الذي
ضربَ الشللُ نصفَه الأيمنَ،
بعد أن أدّى صلاةَ الفجر،
فهمهمتْ لنفسها:
لكنَ اللّه
حبيبُ الشعراء.

ريشة

كانت قَصَبةُ السّاقِ

طائرةً في الفراغ،

وعضلاتُ الذراعِ مفكوكةً

تتخبّطُ بين الدولابِ والحائط،

لكنَّ جسدَ سيّدةِ النبعِ

ظل ملفوفًا بملابس الإحرام،

بينما ظَهرُها منشورٌ

كجنود المظلات.

تساءلَ الفتى:

الكفُّ التي باتت تُمسّدُ بَجعَةً،

كيف ضلّتْ مسارَها

إلى النقطةِ العمياءِ

بين بصيرتين؟

والقدمُ التي دبّت طوالَ عامين

من ميدان الرمايةِ

إلى التجمّعِ الخامس،

كيف لانتْ فلا تقوى على السعي

بين سجادةٍ ومخدّةٍ؟

واللسانُ الذي قضى الليلَ كلَّه

يقيس حوضَ أنثاه

بكميّة المسامِ بين عَظْمةٍ وعَظْمةٍ،

كيف التوى

فلا يجيدُ الفصلَ بين الكافِ والنون؟

أيها الإخوةُ:

الريشةُ استقرّتْ في الفَصّ.

أيها الإخوةُ:

هذه تطوّحاتُ حَلاَّجينَ.

أيها الإخوةُ:

مرّتْ سحابة.

زيـــارة

كيف لم أنتبه إلى أن زائرةً
حطّتْ رحالها بعد وعثاءِ السَّفر؟
رغم أنني عاينتُ
كيف لم تقُمْ ساقٌ زاهية
بنقلها من قاعة الخزين
إلى حظيرة البهائم،
ومسحتُ قيأها الفيّاضَ فوق الكليم،
(مثلما فعلتْ سيدةٌ معاصرةٌ
مع القيء الحديث).
نعم، عَزَوتُ تيبُّسَ ساقِه
إلى كثافة الطرقات
نعم، عَزَوتُ سيلولةَ العضُد

إلى مَغبّةِ قطفِ خوخةٍ

من شجرة المؤذّن،

نعم، عزوتُ انبعاجةَ الصوت

إلى شهوةِ أن تكونَ دوبليرًا

ليمامةٍ.

مع أن الصيدلانيةَ الشّابةَ

شدّدتْ مرارًا على فحص قاعِ العين،

والسيدةَ المعاصرةَ

أكلتْ شفتَيْها حينما اهتزَّ في يدي القَدَحُ،

ورتلتْ لي على جبلٍ:

«يا ليلُ، الصّبُّ متى غدُه

ينزفُ عبدٌ في السّفحِ،

وفي السّدرة ينزفُ سيّدُه

يشقي المحبوبُ ببسمةِ عاشقِه

لكن المحنةَ تسعدهُ».

فكيف لم ألقطْ الإشاراتِ الإلهيةَ؟:
لمعةَ السّمانة، اصفرارَ البؤبؤ،
تعسيلةَ الرّنجة، الغُصَّةَ المفاجئةَ في
الأهالي، تهافتَ الرسغ
بعد سطرين من مقالة «كاتم الصوت».
هل كان يلزمني أبو حيان التوحيدي نفسُه
لكي أنتبه
إلى أن زائرةً
حطّتْ رحالها بعد وعثاءِ السَّفر؟
وأنا الذي قلتُ:
«ليتَ أمي راقبتْ
ميزانَ سُكرِّها المطفّف في الدماء،
ولم تضئْ».

الأشـــعة

مربوطًا إلى السّريرِ الحديديِّ
دفعَه النوبتجيُّ إلى قفصٍ مظلم،
النوبتجيُّ الذي صوّبَ العدساتِ
على مؤخرةِ يسارِ الجمجمة،
وضغطَ على الزِّر:

جاءت حدوتة مصرية، والراهب، ويوسف شاهين، وتجار الموالح، وكل هذا الجاز، ومدرسة عبد المنعم رياض، وسجن العَبْدلي، وصنع الطائرات الورقية، ونشأ وترعرع، والقنابلُ المضيئة، وسُرّةُ سيدةِ النبع، ونزيفُ زاهية، وعبس وتولّى، ومسلسلُ الأيام، وقوارب الزناتي للصيّد في السحر، ونسوة يرتجلن عدّودة حول ناعورةٍ، وجثة سامي المليجي في الرَّيّاح

المنوفي، ومعتقلُ القلعة، وساهمُ الطرف كأحلام المساء، وإضاءة ٧٧، ويقراتٌ طائراتٌ على أطراف الكازوارينا، ورعبُ المترجمات من المسحراتي، وكتاب النبيّ، ودفنٌ عبد الغني سالم.

وحينما خرجَ من القفص،

لم يستطع أن يسأل:

هل هذا القفصُ هو المسئولُ عنْ الشِّعر،

أم عن العواطف؟

لو أنه المسئولٌ عن الشعر

فنداؤه للشعراءِ الجُدد:

الاعتناءُ بضميرِ الغائب،

ولو أنه المسئولٌ عن العواطف

فنداؤه للجميلات:

أن يستجبنَ إذا تمنَّى العاشقونَ

تمريرَ الأصابع بين الصّفا والمروة

أيها الحكيمُ النويتجيُّ:

خذْ شريحةً من السيرة الذاتية،

وشريحةً من الذاكرة،

وشريحةً من آلة الفهم،

وأعطِ الشرائحَ كلَّها

للسّيدةِ التي تبكي في البهو

وبلِّغْها السلامْ.

صلاح منصور

كنتُ أتأملهُ

وهو يجرُّ نصفَه الميِّتَ

بنصفِه الحيِّ،

كي يصلَ إلى بندقيةٍ على الحائط،

وأهتف: يا له من مشلولٍ صميم !

تمنيتُ في صباي أن أكون ممثلا

يجسِّد الشخصيات المركبّات،

لكنني لم أتوقع تفوُّقي لهذا الحدِّ

على سادة التقمص.

ذلك أن صلاح منصور

بعد انتهاء الكلاكيت،

ارتدى بدلتَه النظيفةَ البيضاء

وقاد سيارتَه إلى المهندسين،

بينما ظللتُ أجرُّ نصفَي الميِّتَ

بنصفي الحيِّ،

كي أصلَ إلى حَبَّةِ الأرز التي

بعثرتْها الأناملُ،

وفوق الأريكة انثناءُ سعاد حسني

وهي تصبُّ الماءَ على يديَّ،

بينما عيناي مغروزتانِ

في منبت الثديين.

يا صلاح منصور:

أيُّنا المقلِّدُ،

وأيُّنا الأصلُ؟

الــــدرس

ضعي القطَّ النُّحاسيَّ
بجوارِ راقصةِ الباليه
فهما شقيقان،
وتأمّلي نصفَ وجهي
وهو ينوء بالفالج.
كَفَلُكِ حَاضرٌ في الدنيا كَدَرسٍ،
فحدّقي في السنواتِ الثلاثِ العصيباتِ،
إذ ليس من خدعةٍ تنتهي
بسحابةٍ في الدماغ.
ضعي القطَّ بجوار الراقصةِ
لتنهضي من كبوةِ الشاشَاتِ،

وتشرحي لرّوادِ ندوة الزيتون،
كيف كانت تمسيدةُ النهد
عند انطلاق الصواريخِ على النجفِ،
جزءًا من ثأر الله،
وفصلًا من رأفةِ الطبيعة
بالمجذومين.
كَفُّك حاضرٌ في الدنيا كَدرسٍ،
من حيث كونِه أطروحةً للرّبِّ،
إذ ليس من خدعةٍ تنتهي
بتخشُّبِ السّاقِ،
لأنني الذي دفعتُ سيّارةً
بيدٍ مشلولة،
بينما تطوفُ بي حاملاتُ القرابينِ
مرجّعاتٍ نشيدَ البَدَن:

«كنتُ أقولُ لسُرَّتها: هيتِ،
تقول السُّرَّةُ حينًا: هيّا،
وتقول السُّرَّةُ أحيانًا: هيهاتْ
ينده شلوٌ شلوًا
فتطلُّ من الثوب سلالةُ ندّاهاتْ
في الحضرة يهمس شعبٌ أنثى:
واهًا،
فيكثّرُها شعبٌ ذَكَرٌ:
واهاتْ».
ضعي القطَّ بجوار راقصةِ الباليه،
فأنا أعمتني التهيؤاتُ:
كأنني الذي غنيتُ «أنا قلبي إليك ميّال»

مرتين:

مرةً في طَلْعة الحسين،

ومرةً حينما كنتِ تضعين الخاتمَ المرتعش،

في البنصر المرتعش.

كَفُّكِ حاضرٌ في الدنيا

كدرسٍ،

وحينما أمرِّرُ كفِّي عليه،

يسري الدمُ في الأناملِ،

وتزول تنميلةٌ.

المُحتَرِف

«لابد أن تكونَ في أفضل المستوصفات،
وأن يَجُسَّ الفصوصَ فيكَ الاختصاصيون
في علم الإنارة».
كانت زياراته زادًا
للذين يتوكأون على عصًا،
لكي يهشُّوا بها الأغنامَ والبكتريا.
يُلقي بالتعاليم القصار في حزْم المتعَبين،
ثم يحمل عن شقيقه عدّة اصطيادِ التوازن،
وخطًا بيانيًّا لذبذبات الرقص.
ولأنه خبيرُ سحاباتٍ فقد أذاع:
يا جماعةَ الخير:
نحن واقفون في سِنِّ نملةِ الدُّبانة.
يا جماعةَ الخير:

أنقذوا الفراشةَ التي تفرُّ من مصر.

يا جماعةَ الخير:

انتهى الزمنُ الجميل.

وفي الصباح كان ممدودًا

كساق زهرةٍ،

من أجل تليينِ سحابٍ مستجدٍ

مشى من الفخذ للرئة.

فيا أخي في زراعة اليوسفي:

نحن نطلقُ رصاصَ الكلام

حتى نوفّرَ الرصاصَ الحيَّ للمشايخ.

يا أخي في المجزرة:

نحن نطلق رصاصَ الكلام

حتى نمتحنَ مواهبنا في التنصُّتِ.

يا أخي في حبِّ سيِّدةِ النبع:

نحن نطلق رصاصَ الكلام

حتى ننجَحَ في مسابقاتِ العَدْو.
وساعةَ التقى الصاحبان
صاحت اليتيمةُ التي تنسى مفاتيحَ بيتها
في المجلس:
السحاباتُ تحنُّ لبعضها بعضا،
والمعطوبون للمعطوبين كبنيانٍ مرصوص.
أما الشيوعي الذي طردَ الممرضات،
فقد أزاح شَعَره المصقولَ ثم غمغَم:
نحن نجتازُ مرحلةَ الضخّ الذي يصير معجزةً،
كلما مسَّه طائفٌ من نَفَسِ الذين يجهزون حقائبَ السَّفَر.
فأدرك العُوّادُ أن الفتى الذي
ألقى التعاليمَ باقتدارِ المحترف،
لم يكن يرى الغيمةَ التي
تمشي في ثيابه من أسفل إلى أعلى،

مدعومةً بشهوة التسلقُ.

«لابد أن تكونَ في أفضل المستوصفات،

وأن يجسَّ الفصوصَ فيك الاختصاصيّونَ

في علم الإنارة».

ضحك الجميعُ من لؤم الشعيرات،

وحدّثتْ سيدةٌ وحيدةٌ عنّابَها:

كيف أقسّمُ نفسي بين المصابَيْن؟

ثم راحتْ تتتبعُ بمضربِ الذبابِ،

أحلامَها المتسرِّبةَ من الشّقوقِ،

حتى لا يَفرَّ أحدُها.

الراهب

يفوح زهرُ البرتقال في سِكَّةِ البحر،
فتصحو تخثراتُ الدمِ الذي يمشي
وئيدًا،
(أجندلًا يحمل أم حديدا؟).
الكَفُّ في الكفِّ مرتين:
مرةً عند شريط القطارات،
حيث السكندريون زيتٌ على قماش ٧٠ في ١٠٠،
ومرةً عند ساقيةٍ
حولها العفاريتُ في صيغةِ الأرانب،
وكلما حَفَّ طائرٌ بالماء
نقَّرتْ إوزةٌ في الكبد.
مَيِّزي أنت بين نباح الكلاب

ونشوةِ الضفدع،

وثبّتي أنتِ همسَ الظلام

وقفزةَ السمك النشيط،

أما أذناكَ فأسلميهما لموال غريقٍ قديم،

يصعدُ من بئرِ ماكينةِ الطحين:

«يا ليلُ، الصبُّ متى غدُهُ؟

يرسم مشهدَ وصلٍ في الحلم،

فيضنيه على اليقظةِ مشهدُه

هذا مطعونٌ يرجو في الحزنِ

مماتًا،

فيوافيه على الطعنة مولدُه

يضع على رمل الشطِّ جبينًا،

وعلى طيفِ الإقصاء

يوسِّدُه

فيلملمُه كيف يشاءُ،

وكيف يشاءُ يمدِّدُه».

هنا كتبتُ في الصّبا

أولَ سطرٍ عن حبيبةٍ مزروعةٍ في دماء الأرض،

متخيلًا جنيّةَ النبر والشهوات،

وهنا سأكتب في الخريف

آخرَ سطرٍ عن حبيبةٍ

مشبوكةٍ في الريشة التي في القَصّ،

وذراعي في ذراع جنيَّةِ النبر والشهوات.

وحين يفوح زهرُ البرتقال في سكّة البحر،

وتصحو تخثراتُ الدمِ الذي يمشي

وئيدا

(أجندلًا يحمل أم حديدا؟)

سأترجم دعاءَ الكروان هكذا:

جرحُك لي لي لي،

وجرحي لكَ لكَ لكَ.

مالَكْ يا حبيبي؟

كان مدينًا

للرجل الذي يمرِّن اللّسانَ على الكلام

بجملة: «مالَكَ يا حبيبي»؟

موقع الاستدانة: الدار البيضاء

طبيعتُها: تسمُّمُ الأمعاء.

سدادًا للديون:

حَمَله على كتفيه كي يصعدَ السلّم،

وسقاه بيديه عصيرَ الطماطم،

وسامحه على خدعةِ الشالِ المغربيِّ،

ثم جعل ظهرَه سبورةً

لامتحان تحكُّمِ الأصابع

في رسم حروفِ الهجاء أو أسماءِ الزائرين.

مالَكَ يا حبيبي؟

في معرض الخرّاط

كنتُ مسنودًا إلى زندِ سيدةٍ معاصرة

(مسحتُ القيء الحديث في قصيدة: زيارة)

نمعنُ التحديقَ في لوحةِ «الجميلات النائمات»،

ونرصدُ التشابه بين لوحةٍ وغرفةٍ بستارةٍ زرقاء،

حيث الجميلاتُ نائماتٌ

والمؤلفُ ساجدٌ على حقوين.

أرسل المدينُ بسمةً رمزيةً،

مدلولها:

الجميلُ للجميلةِ

والمقلةُ الكحيلةُ

لصاحبِ العباءة الأصيلةْ.

الشّعر في الصدر غابة الوسامةْ

الثغر خاتمٌ وفوق الخدّ شامةْ

الفارس الجريء لليمامة

مالك يا حبيبي؟

سنخوض تجربةً:

كجزءٍ من تمارين اللّسان

كرِّرْ بصوتٍ جليٍّ ورائي:

«وتكون الأنثى حافيةً،

ذَكَرٌ حافٍ يومئ أن كُوني ما شئتِ،

فكيف أظنُّك قادمةً من تيه،

كيف أُسمِّي هيئتَكِ البريّةَ،

أنتِ امرأةٌ وأنا رجلٌ،

كنتُ صنعتك من خمسةِ أضلاعٍ،

ثم اسّاقطَ عنها العرقُ،

ورائحةُ الإبطين وجوعٌ،

فالتحمتُ،

واتكأ عليها كوعُ الله وأحدثَ
ثقبًا،
يكفي أن يدخله الرجلُ فتحملَ
عنه الوحدانيةَ كلَّ
شظايا الكون».
وعندما كررتُ وراءه بصوتٍ جليٍّ،
خلَّصَ الدينَ القديم،
وعندما خلّصَ الدينَ القديم،
غازل المرأة التي تمسِّد ساقَ المسجَّي
لتدرأ عنه المقرئينَ والحشائشَ،
قائلًا:
أنتِ - مثلي - أنظفُ من وصوليّينَ،
وذراعاكِ إرثٌ من مرمرِ الرومان،

كان مدينًا

للرجل الذي يمرِّنُ اللسانَ على الكلام،

ولأنه غريبٌ على العائلة،

وضعَ نفسَه بين المريضِ

وسيدةِ المريض،

لكي يأكلَ حِتّةً من قلبه،

وحِتّةً من قلبها.

ڤرجينيا وولف

هادئةً

هبطتْ إلى البحر،

مالئةً جيوبَها بالحجارة

حتى لا يفشلَ الغرقُ المرتجى،

لكنها كانت تعلم أن التناسخَ

سيعيد خلقَها في مصر

بعد رتوش درامية في النّهدين والكَفَل.

الشاحبةُ التي علّمتْ نفسَها

المشي على شفرةِ النصّل،

لأن أمَّها لم تورّثها سوى جفافِ الحلْقِ،

وأباها لم يتركْ لها سوى المحرابِ،

تكثّرتْ كانفجار الخلايا:
واحدةٌ تكتبُ النَّصَّ،
وواحدةٌ تعيش النصَّ،
وواحدةٌ تراقبُ نفسَها وهي تكتبُ النصَّ؛
وواحدةٌ تراقبُ التي تراقبُ نفسَها
وهي تعيشُ النصَّ،
وواحدةٌ تنقل كرسيَّها من القطارِ إلى
العيادة الخارجيةِ التي تسبقُ النصَّ،
وواحدةٌ تخرج من موتٍ قديم
إلى موتٍ حادثٍ يعقبُ النصَّ،
وواحدةٌ تمسكُ المرايا وترى نفسَها
مُشظَّاةً في كلِّ نصّ.
الطفلةُ التي لا تتقنُ مكيافيللي
ولم يمرَّ التكيّفُ على شُبَّاكها الشرقي
بعد أن ينزلقَ الرجلُ إلى الصحراء،
وهو يدندنُ في ربابه المشروخ:
«يا ليلُ، الصّبُّ متى غدُه؟

يترنّحُ قلبُ المحتاجينَ على الدربِ،
فهل يُقبلُ مكلومٌ يسندُه؟
كنتُ أصلي أملي في قاعِ لظاي،
وأسجدُه
وهنا بدنٌ يُدنيه صفاءُ حبيبٍ،
لكنَّ جفاءَ حبيبٍ يُبعدُه».
هادئةً هبطتُ إلى غرفةِ العناية
مالئةً جيوبها بالحجارة
حتى لا يفشلَ الحطامُ المرتجى.
كنتُ أحصي التشابهاتِ
بين التي على الغلاف والتي على جفني،
كلما جاءتني ممرضةٌ لترصدَ الذبذباتِ
في الرُّسغ،
فأدفعُ التي على جفني إلى التوغُّلِ في
السَّلف الصالح،
حتى يتطابقَ النّصبان.

لم يكن يعوزُ السابقةَ سوى
سجنِ الطائف،
ولم يكن يعوزُ اللاحقةَ سوى جيوبٍ
لا تسرِّبُ الزّلط،
ولم يكن يعوزني سوى جرعةِ السيولة،
كي أعقدَ المقارنات بحنكةِ المتقمص.
جميعُهم حاضرون في الممرّ:
إليزابيث تايلور، والوجوديون، ونيكول كيدمان، والمعذّبون في الأرض، وماهر شفيق فريد، والفصاميّون، والخائفون من الخوف، وضحايا الكوابيس، والمتسمِّرون من البُرص، وسيدةُ النبع.
فلندخل الآنَ لعبةَ الأشباح
لكي نفهمَ:
لماذا قذفتْ السيدةُ المعاصرةُ
أحجارَها في وجهِ الأطباء
وتفرّغتْ لصُنعِ العنّاب؟

الدراويش

م13-الأعمال الكاملة حلمي سالم ج4 (الهيئة العامة لقصور الثقافة)

عُرْيُكِ طبٌّ أعشاب.

فدعينا نُطيِّرُ البالوناتِ كلَّها،

لكي نختبرَ قدرةَ السماءِ

على التحمُّل،

وإذا وقعتْ الشعيراتُ على الشعيراتِ

ستزول كهرباءُ المعصم،

وتزولُ رعشةُ الخطِّ الثُلث،

وينبعثُ من خلف التكايا

كورسُ الدراويش:

«كنتُ أقول لسُرَّتها: هيتَ،

تقولُ السُّرةُ حيناً: هيّا

وتقول السُّرةُ أحيانًا: هيهاتْ

لكني حين أشارفُ غابتَها الحُرَّةَ،

تطلق غابتُها الحرّةُ آهًا

فيردُّ عبيدُ سنيني آهاتْ

يخرج من إبطيها جنيٌّ يصرخُ بي:

خذْ،

فيجيبُ العطشُ الضاربُ برمالي:

هاتْ».

الأصـــابع

لا عليكِ إن لم تستطيعي التحكُّمَ في الملاعقِ،
فيمكن رشفُ الحساءِ بالفمِ المباشر،
ولا عليكِ إن لم تستطيعي حلاقةَ الذقن
فيمكن أن تنوبَ عنكِ حنينُ الصغيرةُ السمراءُ،
(كما أن الذقنَ غيرَ الحليقةِ،
تشي بخبرةِ السنوات والزهد)،
لا عليك إن لم تستطيعي كتابةَ
نقدِ الحداثة
فيمكن لعبدِ المطلب
أن ينهضَ بهذا الدور
على الوجهِ الأتمِّ،

(علمًا بأن الأفضلَ تركُ الحداثة تغرقُ
من غير أن نرمي لها العوّامة).
أيتها الأصابعُ التي تشبه المِذراةَ والبيانو،
ثمّة الكثيرُ الذي يمكن الاستغناءُ به:
١) يكفيكِ أن تبصمي بالإبهام
على وثيقةِ رفضِ تعذيبِ الحقوقيين.
٢) ويكفيكِ تقليبُ صفحةِ الكتابِ
مستعينةً ببلّة اللسّان الذي
صار له الآن ريقٌ.
٣) ويكفيكِ رفعُ السبّابةِ
في وجه كاتبٍ مزيف.

٤) ويكفيكِ طبعُ كفٍّ غارقٍ في الدمْ
على حوائط المؤسساتِ
كرمزٍ لصرخةِ ابن آدم.
٥) ويكفيكِ أن تحطي شاشةً مبلولةً
على جبينِ الفتاةِ التي تهدّها الذكرياتُ
كلما دوّى أذانُ الفجر.
أيتها الأصابعُ التي تشبه المذراةَ والبيانو،
مازلتِ قادرةً على أداء الوظيفةِ الأهم:
وضْعُ السّكرِ في شاي فاطمة.

إنتَ عمـري

هذه هي الحفلةُ التنكريّةُ:

المريضانِ يتكاتفانِ في المقاومة،

إذ أن برقَ الخلايا

شقيقُ سحابةِ الدم،

فكأن السّيدةَ التي بجواري

هي السيدةُ التي على الشاشة

يضربُها التضادُّ والكُرَيّات.

في هذا المربّعِ المعتمِ

تكسَّر القناعُ على القناعِ،

فهل أنا البطلُ

أم المتفرجُ؟

المريضان يتكاتفان في المقاومة،
وهنا حِصَّةُ القرينِ في قبالةِ القرين،
حيث في هذا الظلام المفتضَح
تتقلَّدُ الحياةُ شاشةً فضيّةً
فتسحُّ الدموعُ التي بجواري
من جرّاءِ حَبكةِ الدراما،
وتسحُّ حبكةُ الدراما
من جرّاءِ الجروح التي تتساقطُ
بين أقدامِ مشاهدَيْن
يقفزان من الكاميرا
باعتبارهما صُنّاعَ كارثة.
هذه هي الحفلةُ التنكريّةُ:
حيث يصطكُّ القناعُ بالقناعِ،
وحيث راقصاتُ الباليه
يبلغنَ ذروةَ التوهّجِ

إذا كان الورمُ انتشاريًا كالحضارات.
هذه الفتاةُ التي تحوِّلُ العذابَ
إلى عذوبةٍ
بفعل ليونةِ المونتاجِ والخَصر،
هي التي تقبعُ جنبَ شقيقها القطّ
في خزانةِ البامبو،
قبالةَ الملصقِ الذي خططتُه
قبل مرثيّةِ الأصابع.
أنتِ عديدةٌ يا بنتَ سيّد:
تارةً في توتّر البلاتوه،
وتارةً تحت الدُّش،
وتارةً في ممرّ المصحّةِ الطويل
تعلّمين شخصًا كيف يخطو
على خطٍّ مستقيمٍ من مربّعاتِ البلاط.

يا بنتَ سيد:

لم نفاضلْ بين السَّحابةِ واللوكيميا

فكلتاهما شهابٌ جميلٌ،

ولم نفاضلْ بين الأساسيين والكومبارس،

لأن انكسارَكِ كان بؤرةَ السيناريو.

هذه هي الحفلةُ التنكريّةُ،

فيا صاحبةَ نقرةِ الإصبع:

أأنت التي في موسيقى أم كلثوم،

أم التي تضعين في شراب الدُّوم

ملعقتيْن من عسلٍ أبيض؟

ويا صاحبةَ نقرةِ الإصبع:

أنا امتحانُكِ الحَرِج.

العُـزلـة

كنا نعرف أن الراديكاليّةَ جزءٌ
من أدواتِ الشُّغل،
فسلَّمنا له بإلقاء البيضِ المشّش
على وجوه المطربين،
وعندما شاهدَ المرأةَ التي تشتهيها
عيونُ خمسةِ أجيالٍ،
مفحومةً على الريفيِّ
الذي يربطون معصمَه إلى المَصْل،
صاح: هل نحتاج إلى سحابةٍ في المخِّ
حتى يرقَّ قلبُ المؤنثاتِ؟
مزيجٌ من المَوَدّاتِ والمكائد

يختفي تحت هذا الشارب الكثّ،
لكنه قامَ من دفءِ الفراش في الهزيع،
لكي يساعدَ القروي في خلع الحذاء
حتى يريحَ ساقيه على السرير الجلْد،
ولم يكن أتمَّ هندامَه
حينما جرى كي يسندَ نصفَ صاحبه
في الذهاب إلى معملِ الرنين،
صاحبِه الذي يصطاد الصقورَ
وهي في طريقها إلى الشارب الكثّ.
تقمّص السيّابَ وقال لسيدةِ النبعِ:
«أحبّيني،
فكلُّ من أحببتُ قبلَكِ لم يحبُّوني»،
ثم صار يذهب إلى الكنائس
في صحبةِ المعذّباتِ في الأرضِ،
لعل الهدايةَ تنزلُ

على الأفئدةِ والأفخاذ،

وبعدها راح ينتقي الطّوبَ من مخلّفاتِ البناء،

كي يرأبَ كُوّةً في النَّفس.

مزيجٌ من المودّات والمكائد،

يختفي تحت هذا الشارب الكثّ،

ويخلّفُ نسمةَ التراجيديا:

الطبيبُ الذي فشل مراتٍ،

في تمثيل دور شريرين على المسرح،

والمثقّلُ الذي فشل مراتٍ،

في إتقانِ مشهدِ السذاجةِ في

سامرِ الطفل،

ربَّتَ على كتف المشدوهةِ التي توقنُ

أن جسمَها نتوءٌ في النص،

ثم دعاها إلى كأسين من بوظةٍ

بعد أن يهجع المستيقظون
في عنبر النزلاء،
وعندما رأى صاحبَه
يمشي على ساقين سليمتيْن،
ويتلو مقطعًا من ضرورةِ أن تكون
النهاياتُ حاسمةً،
بنبرةٍ مقبولةِ المخارج والفونيم،
أُدرك أن هناك أكثرَ من سببٍ
للعزلة،
وأن الدموعَ هي الأبقى
بين الاشتراكيين القدماء.

العلاجُ الطبيعيُّ

الاتّزانُ هو الهدفُ،

ارفعْ الذراعَ ببطءٍ

كمن يتسلّلُ إلى السماء

في خِفّةِ اللص،

ثبِّتْها عاليًا بُرهتين،

كمن سيقطفُ مشمشةً

من صدر صبيّةٍ

رأتْ عند طبيبِ الأسنان

أن العميانَ يبصرون.

هذا لتوثيق الصلات بين الكتفِ والإبط،

واختبارٌ للتمفصل،

كي يظلَ الكتفُ قادرًا على حملِ غُمرِ القمح،
ويظل الإبط قادرًا على
تحيةِ الغرائز.
ارفع ساقَكَ اليمنى ببطءٍ
(أشدَّ من بطء كونديرا)
كمن سيرفع السقفَ بأظافره السوداء،
أو كمن سيُنيم مجرّةً صغيرةً في الهواء
على مشط القدم.
هذا امتحانٌ للأربطة قبل القفز
على الزّانة،
ثبِّتْها في الهواء خمسَ بُرهاتٍ،
كمن يتيح للسيدة المعاصرة
تعليقَ شالها المبلولِ على القصبة
كي يجفَّ تحتَ الشمس،
أو قياسَ المسافةِ بين سهمها والكعبِ،
أو تقبيلَ الشُّقوقِ التي خلَّفها

جَمْعُ اللُّطَع،
ثم كي تمدَّ فَتلةً
من نهدها إلى صابونة الرُّكبةِ
لابتكار رأسِ المثلث.
الاتزان هو الهدف،
هنا سنرسم شارعًا
ونتجوّلُ فيه
كمصطافينَ في نزهة،
وهنا سنرسمُ مَطَبّاتٍ كثيرةً
ونعبرها كزجزاجٍ،
في خِفَّة الفهدِ المؤسَّس،
محاذرينَ من بالوعةِ الصرف.
وهنا سنرسم بِرَكًا صغيرةً،
ونقفز فوقها
برشاقةِ المصابينَ،

حتى لا نطرطشَ الماءَ على الملابس.
الاتزانُ هو الهدف،
لا تصدقْ ضرورةَ أن تكون النهاياتُ
حاسمةً،
هذا كلامُ الذين يخلطون الأسمنتَ
بشكائر الصمغ،
فلا تثبِّتْ العنقَ ناحية اليمين،
ولا تكتم النَّفَس.
خلايا العضلاتِ مهتوكةٌ،
لأنكَ أفرطتَ في تسديد الكُراتِ
في العارضة،
وسيطرةُ الأَنامل سائبةٌ،
لأنك أنفقتَ الاحتياطيّ كلَّه
في تمشيط سمَّانةِ السيدةِ التي
ظَهرُها منشورٌ كجنودِ المظّلات.

الاتزانُ هو الهدف.

الآن:

دوِّرْ ذراعكَ في سرعةٍ كما تفعلُ

طواحينُ هولندا،

وامشِ على أصابع المشطيْن،

كأنكَ نيللي كريم.

هذا اختبارٌ لقوةِ الطّردِ في الطواحين،

وامتحانٌ لكاحلِ الراقصة.

ثم احملِ الصخرةَ واصعدْ إلى قمةِ

الجبل،

ومن أعلى نقطةٍ فيه:

نطَّ في الحياة.

توقيع،

د. محمد الشاذلي.

ريحانةٌ

عاصرتْ كُلَّ سحائبِ الأسرة.
كأنها تخصصّتْ في الشهادة على
جرثومةٍ في الصُّلْبِ
تسير من جيلٍ لجيل،
كعلامةٍ على تكاتف القبيلة.
الفتاة التي رافقتْ طبيبَ الديوان
كي يوقفَ النزيفَ في رأسِ زاهية.
هي نفسُها التي
هبطتْ من المطار إلى عنبرِ المخِّ،
كي ترفعَ الذراعَ المُدّلاةَ لابن زاهية،
وتتأملَ اضطرابَ ساقِه
التي أضنتّها المشاوير،

وتتقصّى أثرَ سيدةِ النبع

على طريقته في نُطق حروفِ العطف،

وفي طيّ صفحةِ الكتابِ المقدس.

ذات ليلٍ تركتْ ولائمَ المُتّسَف،

كي تعملَ في تمريضِ عمّالِ مصر.

كلونٍ من الرواية الضدّ،

مع أنها ودّعت الصحابة،

وأرّقتْها روائحُ البيت،

حيث ترى ريحانةَ الأبِ مشنوقةً

على سورٍ حديديٍّ،

وحيث ترى الواحدَ في عتمته

على هيئة تجارِ لؤلؤٍ مضبّبينَ

يخطفون الصغار من مضاجعِهم

ويعلّقونهم على سواري مراكب الصيد

فيصيروا متوحّدين،

وتظل أمهاتهم يبكين على الفنارة

كلما قرأن قصيدةً عن عمر.
رتوشُ لوحتها خفيفةٌ،
عكسَ الندبة التي في القلب،
لأنها لم تدرِ أنها منذورةٌ
لإضحاك المصدورين،
رغم أنها تعاني ضيقًا في التنفس،
ولم ينقذها أحدٌ
من شعراء السبعينات،
فراحت تخرج من سرادقٍ إلى سرادقٍ،
كطوّافٍ في السيرة الهلالية،
الفتاةُ التي رافقتْ طبيبَ الديوان
كي يوقفَ النزيفَ في رأس زاهية،
مع أنها أحوجُ ما تكون
إلى برتقالةٍ.

البَلـطة

تكاشفتما معًا،
مرهَقةً لمرهقَة:
أنتِ أطلعْتِها على سرِّ الصِّبْيةِ المتوحِّدينَ،
وعلى فضائح جزيرةِ العرب،
وَهي رَوَتْ عليكِ خدعةَ السُّكر،
واشتكتْ من غلظةِ الأجلافِ والبرابرة.
أما أنا فقد أطلعتُكِ على البلطةِ
التي هوَتْ بها على رأسي،
وعلي الطِّين الذي كبَستْه في الجرح.
سأهديكَ سرًّا:
السّريرُ الذي قرأتِ عليه كافكا،

هو السريرُ الذي كنتُ قرأتُ عليه جبران.
وحين منحتِ اسمها لوليدةِ الجيران،
كنت تنشرين نظريّةً في الخير،
وحين حطّتْ لكِ القشدةَ والحليب،
كانت تقدِّم لكِ الأشباهَ والنظائرَ.
تكاشفتما معًا،
مرهَقةٌ لمرهَقة:
أنتِ التي خصَصتِها بالذِّكر الحكيم،
وهي التي تركتْ لك نوبَتها
في المستوصف
لأنها تأكدتْ أن مثيلتَها مقعيةٌ
عند أقدام الصَّبيِّ الذي ادّعى
أن الزجاجَ شجَّ رأسَه
بعد تهشُّم نوافذِ المدرسة،
ولأنها سمعتك في منامها تقولين:
«الحانيةُ على ابن أبيها
وعليّ، لشبيهةٌ زاهيةَ إذا ضمَّتني،

وشبيهةٌ زاهيةَ إذا باحتْ لي بالمحجوبِ،
رمتْ أقراصًا في الفرنِ،
فنضجتْ أرغفةً واحمرَّ الخدّانِ،
لقطتُ الفكرةَ خلفَ الجغرافيا:
هذي الأختُ مضاعفةً:
أختي الطارئةُ،
وأختُ فتى سيصادفني في الصحراءِ».
تكاشفتما معًا،
مرهقةً لمرهقة،
أيتها المرأةُ التي لم تكتشفْ صحوةَ الحلمتيْنِ،
إلا عندما استسلمتْ بغدادُ،
ضَعي كفَّك فوق رأسي:
يدُكِ قريبةٌ من موضعِ البلطةِ،
وموضعُ البلطةِ قريبٌ
من سحابةِ الدِّماغ.
بلِّي الفولَ النابتَ يا فاطمة،
لأنني جائعٌ
وأحتاجُ أن آخذَ الدواء.

المهمّــات

دعينا نقتسمَ بيننا المهمّاتِ بالعدل:

سأترك لكِ الحديثَ عن القطِّ

ذي العيون الحمراء،

سيّما إذا وضعتِهِ بجوار أُختِه

راقصةِ الباليه،

حيث تذكِّرُكِ الراقصةُ

بالمؤذّنِ الذي يطلُّ كلما مالَ جزءٌ

على جزء،

ويذكرُكِ القطُّ بالسواحلِ التي

احترقت فيها طبخةُ الفاصولياء،

عندما كان خليجُك الخصوصيُّ

لا يفنى ولا يُخلقُ من عدم.
وستتركين لي رسمَ ثدييكِ
كبروفيلٍ
لإغريقيين يستيقظانِ من نومِ الدّهور،
حيث النقشُ بالحنّاءِ على أولِ النحر،
وحيث تجسيمُ البلوغِ بمكبّرِ الصوت،
وحيث لعقُ الحظِّ باللّسان.
هذه قسمةٌ منصفةٌ،
يا صاحبةَ الغياب الذي صار كاملَ العدد،
لكن السؤال:
من منّا عليه تصويرُ احتساءِ ماءِ الظّهر؟
ومن منّا عليه تسجيلُ السّبابِ
الذي من نوع: يا كلبٌ؟
ومن منّا عليه رصدُ الجنون

الذي استبدّ بالأصابع

وهي تدقُّ على الكمبيوتر:

صلّوا من أجل المشاكس؟

الأفضلُ أن نضنَّ بهذه الوقائعِ

على البوح،

لكي تظلَّ هناكَ في ركنِها القصيِّ:

عندي: بجوار الفصِّ الذي زارته زائرةٌ،

وعندك: تحت صورةِ المتوحّدِ،

عندي: بجوار قرصِ الأسبرين،

وعندكِ: على بعد سنتيمترٍ واحدٍ

من كعبةِ الساقين.

الحُقْنـــة

خطأٌ بسيطٌ في حقنةِ الوريد،
أسالَ قطراتٍ قليلةً على ملاءةٍ بيضاء،
فانقلبتْ الجغرافيا،
وانشفطتْ عمائرُ كالعُلبة الصّفيح.
داختْ الفتاةُ التي يعذّبها ذنبان:
ذنبُ المتوحّدِ الذي يُنشئ مدينةً
في الليل،
ويهدمها في الصباح،
وذنبُ الممدّدِ الذي ستجرُّ
جلبابَه الأزرقَ المعروقَ في مطارِ القاهرة

كي ينوبَ عن الكنّاسين.
خطأً بسيطٌ في حقنةِ الوريد،
جعل السيدةَ التي يحفُّها المدّاحونَ من جهةٍ
والموتورونَ من جهةٍ
تطيّرُ البرقياتِ للصلاة،
بينما تغسلُ القميصَ من قيءِ السحابة،
وتدير المسجّلَ
كي تستعيدَ صوتَه الأجشَّ
وهو ينشدُ في محفلِ الأندلس:
«يا ليلُ،
الصّبُّ متى غدُه؟
مشتاقٌ راح يكابدُ نبشَ
الذكرى،
ما أقسى ما كان يكابدُه

ظمآنُ يطاوعه الدهرُ الروّاغُ

سويعةَ سحرٍ،

فإذا جاء الصبحُ: يعاندُه

كان يعنّفه في الحضرةِ،

لكنْ في الغيبة كان

يهدهدُه».

خطأٌ بسيطٌ في حقنةِ الوريد،

جعلني أرى في نصف غيبوبةٍ:

أن عينيها

هما الأشعةُ المقطعيّةُ،

وأن يديها هما المصلُ.

اليـنسـون

مُدراءُ التحريرِ أشدّاءُ جامدون،
فلماذا بكتْ هذه السيدةُ التي
دسَّت تحت الوسادةِ وردةً
وقمعَ سكر؟
لا بد أنها تذكّرتْ أخاها الذي
ندهتْه ندّاهةُ المصابيحِ،
فتمتم:
«استرحْ يا طبيبي
إن دائي الإقامةُ
ودوائي السَّفَرُ».
ولا بد أنها تذكّرتْ حبيبَها الذي

رمّموا له الشرايينَ كلها
بعد أن عَضَّها المثقفون والعَسْكر،
لأنهم لا يفضِّلون نظافةَ العيون.
هي التي نبّهتني إلى أن الزمانَ عويلٌ
وأوصتْني بأن ما كانَ قبل السحابة
لا ينبغي أن يكون.
ثم طلبتْ مني جيوبَ ڤرجينيا
لأنها التقطت وشيجةً
بين انفضاح التراثِ وانفضاحِ المعاصرة،
واصلةٌ بين عصر ڤيكتوريا
وعصرِ لجنةِ السياسات.
فيما همزةُ الوصل: طوابيرُ الجثث.
السيدةُ التي يراها المتوسّطون
آخرَ الطُّغاة،

تهمي دموعُها كلما أوتْ إلى فراشها،

لأنها ترى في كل جريحٍ

وليدَها،

وتلمحُ في كل مشنقّةٍ

مصيرَ أمة.

مدراءُ التحرير أشدّاءُ جامدونَ

لكن هذه الصموتَ

تذيبُ قلبَها في كُبّايةِ الينسون،

وتوزِّعُ الرُّشْفَ على أصحابِ العاهات،

ثم تداري تفتُّتَها

في الابتسامةِ والموعظةِ الحَسَنة.

قلبٌ مفتوحٌ

الولدُ الذي ساءَه

أن أُفضحَ اسمَ أمِّه في الشِّعر،

لم يكن يتوقع أن يخذلَه البُطَيْنُ،

فظلّ يَعبُّ الهواءَ

حتى تضاءلَ الأوكسجين

في حجرةِ الضيوف،

وحينما ضاق الطريقُ على منكبيْن،

انتعشت الموسيقى

في غرفة العمليات.

الآن يا شقيقي:

جريحانِ في العائلة

وعلينا توزيعُ الواجبات
حسبَ العمر والرصيد العاطفيّ:
أنتَ ترعى مسيرةَ الفُرز،
محاذرًا من الكُحَّةِ والقهقهاتِ والكوارع،
وأنا أحملُ إليكَ الفتاةَ
التي أتلفَ جسمَها الصدأُ،
كي تضعَ على وسادتك مجسَّمَ عمارةٍ،
أنت تلاحظ الدلالَ المفاجئَ
في فصيلةِ الدّم،
محافظًا على خشونةِ الحنجرة،
وأنا أترك لكَ اعترافاتي الصغيرةَ،
كي تنجزَ بها جُرْسَةَ المستقبل.
أما الولدُ الذي شهَّرتُ
باسم أمّه في الشعر،
فقد أدخلَ رأسَه في قفصه الصدريّ

المشجوج بفأسٍ،
وصاحَ:
ما كلُّ هذا الدمِ الأنثويّ
في عروقِ مدرِّسِ الأحياء؟
هو الآن يقرأ الغرامَ المسلّح
حتى يستعينَ بصدامِ الحضارات
على اكتشافِ قنطرةٍ
بين الأُذُنَيْنِ ونفسِه.
هو الآن غائصٌ في دفترِ السُّلالات،
حتى يقيسَ بالشِّبر
المسافةَ بين انغلاقةِ التاجيِّ
في صدرِ تاجرِ الموالح،
ولمعةِ المشارطِ التي توهّجتْ في

شبين الكوم.

هو الآن عاكفٌ على البلازما،

حتى يستبينَ لونَ الرّيشةِ التي

حطّتْ في شعيرات شقيقه،

حين كان ينثر اسمَ زاهية

في الشّعر،

كنوعٍ مُستَحدَثٍ من السّماد للتُّربة:

فتخضرُّ أرضٌ،

وتزهرُ نوّارةُ البرسيم.

الملح

هكذا في لمح سحابةٍ،
انضمّ الملحُ إلى قائمةِ الأعداء.
لم يعدْ بإمكاني أن أُزَرِّيه على
صينيةِ البطاطس.
متابعًا انحلاله في الشرائح المستديرة
وهي تنثُّ بخارَها الحرّانَ في الأنف،
ولن أستسيغَ النساءَ
اللواتي ينثرنه على مواكبِ الظافرين،
أو على الغربالِ في سُبوعِ الطفل.
كما لن أستطيعَ أن أصيحَ في حفل اليساريّينَ:
«الفقراءُ ملحُ الأرض».

هكذا في لمحِ سحابةٍ،

انضمَّ الملحُ إلى قائمة الأعداء،

لا شكَّ أنني سأكون كذّابًا

إذا أقسمتُ على وفائي لمحبوبتي

بالعيش والملح..

ولا شك أنني لن أودَّ للماشينَ قرب ترعةٍ

أن يُحَوِّدوا على المالح،

كما يدعو فولكلورٍ برَكةِ السبع.

ولا شك أنني سأتحاشى في ندوةِ الحزب،

الحديثَ عن مسيرة الملح

ككنايةٍ عن غموضِ الشرقِ.

فضلًا عن استرابتي في إناء الماء بالملح،

إذا جهزّتْه بنتُ سيد،

لترطيب ساقي من ورم الوظيفة،

إذ سأسألُ نفسي:

أرحمةٌ، أم تمهيدٌ لانسرابِ الغرغرينا؟

إذن، ممنوعٌ عليَّ أن أنتشي حينما
يشدو صباح فخري:
«قلْ للمليحةِ في الخمار الأسود»،
وممنوعٌ عليَّ أن أمرَّ على المَلاَّحات
في طريقي إلى أبي يوسف،
وممنوعٌ عليَّ أن أحطَّ في عيني
حصوةَ ملحٍ،
إذا خلعتْ حبيبةٌ سوتياتَها
تأهُّبًا للعزف،
الأَمَرُّ: أنني سأغتاظ كلما وضعتْ
سيدةُ النبع فوق طاولةِ الغداء
أنشوجةً أو بطارخَ،
لأن ذلك سوف يعني أنها تريد السوءَ بي،
وكلما أفرطتْ في مدح بيّاعةٍ بدينةٍ
تنمّقُ لها المخلّلاتِ كباقةٍ من قرنفلٍ،
لأن ذاك سوف يعني أنها
كَيّادةٌ،

ونقيضٌ للتكافل.
هكذا في لمحِ سحابةٍ،
انضمّ الملحُ إلى قائمةِ الأعداء.
لكنني سأحتال على تعاليم النطاسيّين،
بخبثِ المتوفيّين وفطرةِ الشيخ،
على سبيل المثال:
سألعق عرقَ حبيبتي البرونز،
كلما ارتفعتْ موسيقى الأعضاء،
سأبيتُ أذوق باللّسان الملعثم
ماءَها المطهّرَ الذي يتنزّى بين ساقيْها
عندما يفيضُ نبعُ سيدةِ النبعِ،
سأستبقي في فمي طعمَ جلدِها المغسولِ
بعد الخروجِ من هانوفيل،
سوف أظل أرى وجودَها في الدنيا
ملحًا يضبط طبخةَ الرّب.
أما على سبيل الحصر:

فإنني سأعيدُ كلَّ أمسيةٍ،
إنشادَ سورةَ الرحمن التي تقول:
«يا عُريَها يا ملحُ
يهوي فتيتُكَ في الفؤادِ،
فينكوي ضلعُ الفتى
وينزُّ جرحُ
يا عريَها يا ملحُ
تحمي اندلاعَكَ في العيونِ
صبابةٌ،
ويحفُّكَ الفرَحُ
يا عريَها يا ملحُ
أنتَ التنفّسُ في التويج،
وفي اخضرارِ وريقةٍ تَتّحُ
يا عريَها يا ملحُ
انزلْ على المعطوبِ تبرأْ علّةٌ

ويجفُّ قزحٌ
يا عريَها يا ملحُ
أنت الذنوبُ،
وبعدها أنتَ العقابُ،
وبعدها ستجيء أنتَ التوبُ
والصفحُ
يا عريَها يا ملحُ».
هكذا، برغم لمحِ سحابةٍ،
لن يتحولَ الصديقُ إلى عدو،
فيا امرأةً تفكُّ عن قدميها الصواميلَ:
اقرئي مدنَ الملح
لأن حضورَك في مصر،
ينظِّفُ ذائقةَ بني آدم.

المنوّر

أياديكَ البيضاءُ على جيلي

لا تعطيكَ حقَّ السَّيرِ

على خُطاي.

نعمْ، شرحتَ لي طرفةَ ابن العبد،

في أول الصِّبا،

لكن ذلك الشرحَ ليس مبررًا

للتشبُّه بي،

كما إننا لم نفهم الثلاثةَ اللواتي

هُنَّ من شِيمةِ الفتي،

فكن مستقلًا واتخذ طريقًا خصوصيًّا،

يحمل منك بصمةً.

سأُذَكِّرُكَ بقدرتكَ على الاختلاف عني:
أنا اخترتُ النّصَّ،
وأنتَ اخترتَ تشريحَه،
أنتَ انحزتَ إلى إصدارِ التعليمات،
وأنا انحزتُ إلى مخالفتِها.
إذن، تستطيع أن تكون مغايرًا،
لأن أياديكَ البيضاءَ على جيلي،
لا تعطيك حقَّ السَّيرِ على خُطاي،
صحيحٌ، تشابهنا في لكنةِ وسطِ الدلتا،
التي تنعتُ المذكَّرَ بالمؤنّث،
وصحيحٌ، تشابهنا في اعوجاج النُّطقِ،
بعد أن علَّمتنا مذاهبَ اللسّانيات،
وصحيحٌ، تشابهنا في عشقِ سيدةِ النبعِ،
حينما احتضنّاها
كبَهْكَنَةٍ تحت الخِباءِ الممَّدِ،
لكن التبايناتِ كثيرةٌ:

سحابتُكَ في فصّك الأيمنِ،
وسحابتي في فَصّي الأيسر،
هُرِعَ إليكَ الكبراءُ والصفوةُ،
وهرع إلى البسطاءُ والحرافيشُ،
أنتَ بنّاءٌ غريبٌ على الأهلِ،
وأنا هدّامٌ غريبٌ على الأهلِ.
هكذا يا رجلُ:
حينما قبّلنا جبينَكَ الرّطبَ،
أنا والسيدةُ التي تلوح كباقي الوشمِ
في راحة اليدِ:
لمحنا في لسانكَ المضطرب
أطفالًا يزرعون خسًّا وبازلاءَ،
وسمعنا في خطوكَ البطيء
غمغمةَ مصلّينَ.

الخلاصةُ: أن أياديكَ البيضاءَ

على جيلي،

لا تعطيكَ حقَّ السَّير

على خطاي،

فلا تنسجْ على منوال أحدٍ،

ودعني أسألَ السؤالَ الطبيعي:

هل الأسدُ في عرينه؟

وأسمعُ الجوابَ الطبيعي:

نعم، الأسدُ في عرينه.

إذن لا تقلّدني حبيبي،

سوف أحيا كالغريبِ.

الطلمبــات

طلمباتُ الطريق الزراعيّ
ما تزال في مكانها بجوارِ صفصافة.
كنا شربنا وغسلنا الوجوه
ونظّفنا الحذاءَ من وحلةِ الحقل،
وحينما مررنا يومَ الأحد،
لم نشربْ ولم نغسل الوجوه،
ولم ننظّفْ الحذاءَ من وحلةِ الحقل.
ربما كان السبب
تصلّبَ الشريان
أو ندرةَ الوحلِ في مصر،
مع أن الطلمبات ما تزال في مكانها
بجوار صفصافة.

لم يزد عليها غيرُ عازفٍ جوّالٍ،
جمَّعَ الصغارَ حوله وحَنَّنَ الأرغول:
«يا ليلُ،
الصَبُّ متى غدُه؟
ينشدُ في القيد الرحمةَ
من صيّادٍ،
ويناشدُه،
يبعثُ رسلاً في الطير
ويحمل رجعَ الأنّةِ
هدهدُه
إن هبط الوَسَنُ يلاقي المعشوقَ،
فإن هبط الصحوُ المجرمُ يفقدُه
ينزفُ عَبْدٌ في السّفحِ،
وفي السّدرة ينزفُ سيدُه».
كانت الطلمباتُ تصغي للأراغيلِ
خلفَ خُصِّ المزارعين،

فمن تُري المسئولُ عن عدمِ غسلِ الوجوه؟
هل السَّحابةُ التي اختارت مستقرها
في الفَضّ؟
هل تسرُّعُ الرئاتِ في إنجاز التنُّفسِ؟
هل خديعةُ الطقسِ؟.
طلمباتُ الطريق الزراعي ما تزال
في مكانِها،
لكن المؤكدَ أن الوحلَ
انتقل من الأحذيةِ
إلى الحجابِ الحاجز،
مع أن السيدةَ التي تنامُ في شبكةِ المعلومات،
كانت تطوّحتْ مرةً
مع الرجل الذي يقول:
«ماءُ خَدِّه
شَفَّ عن لهبٍ».

المقلّدون

لماذا يتشبَّه الكثيرون بي؟

هذا منشدٌ غنىّ مواويلَه في عِزّ السكون

وحين أصغي إليّ إذ أقول:

«حَجَرٌ على حجر،

وكلٌّ بلادنا حجرٌ إلى حجرٍ يقومُ،

يشدُّ بعضٌ منه بعضًا»

راح يُحصي السحاباتِ التي تسيرُ فيه

من ساقٍ إلى رئةٍ،

بينما يغمغم:

«نفْسي يقبُض كَفّي على

سيفِ الجراءة».

وهذا مُنوّرٌ

أهدى إليّ اختصاصيّ الشرايين،
ثم احتاجه بعدَ ساعاتٍ
لنفسه،
وحينما تصادمنا صاح بي:
أنتم السابقون ونحن اللاحقون.
وهذا معلمٌ
كان فهّمنا أن اختلافَهم رحمةٌ،
ثم راح في غيبوبة التليُّف،
يتعقبني من مصحةٍ لمصحةٍ،
كي يصيحَ في العذارى:
لا تصدّقوه، إنه المخادعُ.
وهذا ابن أمي
حرَّكَ السّدةَ من الدّماغ للقلبِ،
كي نصفَّه في عِداد المثقفين،
وكي يفوقني بثلاثِ ميزاتٍ:
غُرَزِ الصدر،
وحركةِ التنقلاتِ في الأوردة،

ودمِ البناتِ الذي يمرُّ في القَسطرة.
جميعُهم ليسوا بحاجةٍ إلى
التشبُّه بي،
فكلهم فريدونَ مملوءون:
المنْشدُ الذي يريد أن يقبضَ السيفَ
له سيرةٌ معطّرةٌ في تخثر الدماء،
وله سوابقُ في قطفِ العنب.
والمنوِّرُ الذي جاور المرايا بالمرايا
ليس مضطرًّا
إلى إثباتِ أن مخّه شغَّالٌ،
فهذا جليٌّ في ابتسامة الروائيّين.
والمعلِّمُ الذي قال إن نفعَ الليل في جماله،
لا ينبغي أن يتزحزحَ من خانةِ القطب،
إلى خانةِ المُريد،
سيّما إذا كانت يداه هما اللتأن
زجّتا بنا إلى العُرس.

وابن أمي الذي

يشرح خصائصَ النباتِ للصبايا،

ليس مجبورًا على إبداءِ العواطف

عبر تهلهل الأورطي،

فضحكتُه العريضةُ

كفيلةٌ بإظهار التميّز عن الأشقّاء.

أيها المقلِّدُونَ الشرِّيرون

لستم خلصائي كما تظنون،

لقد أفسدتم عليّ استئثاري

بالإصابة العليا.

ليسامحْكم الله،

لكنني لن أسامح.

ليس

أدارتِ الحَدَث

الصيدلانيّةُ الجميلةُ التي عيَّنَتْ

طبيعةَ السحابة

وموضعَ الشعاع،

ثم درّبتْ أباها على تدوير أُكرةِ البابِ،

عشرَ مراتٍ،

كتمرينٍ على كفاءةِ القبضِ والبَسْطِ

في الكَفّ.

كانت أشارتْ إلى أهميّةِ اختبارات العيون،

وحذّرتْه من كوارثِ ضبطِ النفس،

فمن أين جاءت بهذه الرّصانة،

بينما أمُّها كهربائيةُ الأعصابِ،
(مع أنها وضعتْ خطةً محبوكةً
لشراءِ شبشبٍ
يناسبُ القدمَ التي لانت
من كثرة المواعيد)،
وبينما أبوها فاقدُ الأهليّةِ
(مع أنه حصدَ فؤادَ جيلين).
الصيدلانيةُ الجميلةُ
ظلّت ساهرةً مع المتاوبين في
حجرةِ الأطباءِ،
يبحثون تارةً تقلباتِ الوريدِ،
ويبحثون تارةً تقلباتِ الهوى.
علّمته كيف يقبض على كرةِ الإسفنج
كشمشونٍ،
ورمتْ نفسَها في حضنِ السيّدة التي
لها أيطلا ظبيٍ،

ثم شرحتْ لها طرائقَ السحابة في
الكَرِّ والفَرِّ،
كي يهدأ روعُ مخضوضةٍ،
ثم أوصتها بثلاثِ قبلاتٍ للطريح:
واحدةٍ في الصباحِ،
وأخرى في الأصيلِ،
ومثلِها في المساءِ. . .
من أين جاءت صيدلانيةٌ جميلةٌ
برباطةِ الجأش
فيما الجميعُ مرعوشون؟
ذكّرتْه بالجدّة التي قذفتْها عاليًا
في فضاء غرفة الخبيز،
ونحّتْ عنه الحبوبَ التي
تترك أثرًا جانبيًّا
على خفّةِ الظل،
ثم مرّنته على الذهابِ للمرحاض

من غيرِ أن تلتوي الخطواتُ،
أو يترنَّحَ الجذعُ على حنفيةِ البانيو.
الصيدلانيةُ الجميلةُ أدارت الحدث
لكنها فقدتْ بغتةً رباطةَ الجأش
عندما لم تطلْ به الإقامةُ
على سريرِها الصغيرِ الذي عليه:
دبدوبُها
وشالُها
ومذكراتُ تشريح الأعضاء،
وتحتَه: صندلُها
والجوربُ المقطوع
ولاسةٌ قديمةٌ للخال.
وبعد أن جفّت الدمعتان،
رسمتْ له برنامجَ الجرعات،
وغمغمتْ:
المهم أن تغادرَ الفسيخَ،
وألا تكونَ وحيدًا.

أدارت الحَدَث،

الصيدلانيةُ الجميلةُ التي عيّنت

طبيعةَ السحابةِ

وموضعَ الشعاع.

سأستعيرُ من طِلب قوله:

«لمن هودجُ بلقيسْ؟

للميسّ.

ولمن راهبةٌ هائبةٌ،

لا راغبةً في جنّةِ نارِ العشقِ

ولا تائبةٌ؟

للميسّ.

ولمن آنسةٌ وأنيسْ؟

للميسّ».

وسأستعيرُ من فاطمةَ قولَها:

«أن يشتري أبٌ جميلٌ

ربطةَ عنقٍ جميلةً

لتفرح بنتٌ جميلةٌ
في يوم الخرّيجين،
بينما الماءُ يغلي فوق الرأس
والممرُّ باردٌ ومعتم».
وسأستعيرُ مني قولي:
«تاتا تاتا/
تَلٌّ جائعينَ جاءَ عند مالكي
الضئيلِ كي يقتاتا/
تاتا/
تائبون توَّج الجميلُ جرحَهم
مواسمًا مواسما
وأعطى لهجتي الفُتاتا/
تاتا/
مشي الضئيلُ والجميلُ تاتا/
تاركًا قلبي مفرّقا أشتاتا/
تاتا / تاتا / تاتا».

السّرج

ستذهبينْ
ولم تنشط الدورةُ الدمويّةُ
في الرجل الذي أسماكِ مُهرةً
مفكوكةَ السَّرجِ،
وأقام مسرحًا رومانيًّا على طريقِ السويس
ووضعَ على كل درجةٍ عشرةَ ولدانٍ
مخلّدين،
كلُّ ولدٍ مخلَّدٍ في يده خمسةُ ناياتٍ
وثلاثةُ دفوفٍ وعُودان،
وأمام كل ولدٍ مُخلّدٍ
حاملٌ عليه نوتةٌ للحنٍ حزين
كان قد درّبهم عليه ليلةً،

بعد أن قالت سيدةٌ

ظهرُها منشورٌ كجنود المظلات:

«لا تمسَّ ظهري»،

رفع الغضا بحكمةٍ فانخرطوا محشرَجينَ:

«كنتُ أقول لسُرَّتها: هيت،

تقول السرّةُ حينًا: هيّا،

وتقول السرّةُ أحيانًا:

هيهاتْ

لكنّا في الفجر نصلي لامرأةٍ

تصنع من بدن المرأة كلَّ هزيعٍ

قببًا، وضراعاتٍ، ونقاهاتْ

فتضاءُ جوانحُ عاشقةٍ

تتجلى في حقويها مأثوراتُ التاريخ:

نقوشاتٍ وكتاباتٍ وشفاهاتْ

يا أرجاءَ خزائنها:

ما إن اجتاز متاهًا في سيري

للنبع الأقصى،

حتى ألقى في سيري للنبعِ

متاهاتٍ تلو متاهاتٍ تلو متاهاتْ».

كان يعرف أنكِ بعد انتهاءِ الدفوف،

ستذهبينَ،

ولم تنشطِ الدورةُ الدمويّةُ

في الرجلِ الذي أسماكِ مهرةً

مفكوكةَ السَّرجِ،

وتركَ مخّه على ملاءتكِ البيضاءِ،

مبعثرةً فصوصُه:

بجوارِ الولاّعةِ وشفرةِ دافنشي وعلبةِ التبغ

والمحمول وبنسةِ الشَّعر، ومفتاحِ الحياةِ الذي عيار ٢٤.

لكنه لم يلوِّثِ الوسادة،

فسحابةُ المخ لا تتركُ بقعًا

على المفارشِ.

إذن، رسالتُه:

احذري المديوكر.

وشكواه:

يطفو على روحي الرنينُ

فيشعُّ من عَصَبي الحنينُ.

الخَــطُّ

اِزنقِ القلمَ بين السَّبابةِ والإبهامِ،

مسنودًا إلى الوسطى،

وحاولْ ثانيةً،

الحروفُ مرعوشةٌ بعضَ رعشةٍ،

لا بأسَ،

محضُ رعشةٍ،

كنتَ تجيدُ الكوفيَّ،

فنشِّنْ بسنِّ القلم على الفولسكابِ،

ليس الكوفيُّ مهمًّا،

كانت الفاءُ عندكَ دقيقةً،

ليست دقّةُ الفاءِ ضروريةً،

ما تزال الطاءُ عندكَ تحتفظُ باستدارتها

اللعوبِ،

وإن شابتْها هِزّةٌ خفيفةٌ،

ليست مؤثرةً هذه الهزّةُ الخفيفةُ،

وبعد مراتٍ قليلاتٍ

ستعود الميمُ إلى تكويرتها الأنثويةِ،

حتميةٌ هي التكويرةُ الأنثويةُ،

اجعلِ الكلامَ مستقيمًا،

وحاولْ ثالثةً،

من غيرِ ضغطٍ شديدٍ بسنِّ القلمِ على

الفولسكاب،

فالضغطُ يُربك الأوتارَ،

ويعمِّقُ الشعورَ بأننا غيرُ طبيعيينَ،

ونحن الطبيعيونَ،

لا تحزنْ لأن نونَ نبع ليستِ مدحُوَّةً

كصحنِ أنثاكَ ساعةَ التئامِ جلدٍ

بجلدٍ،

فنونُ أنثاكَ مرسومةٌ في القلب
جذّابةٌ في كل هيئة،
والجوهري أن نقطةَ النّونِ باقيةٌ،
لا تظنَّ أن واجبَ كتابةِ الإملاء
في الصِّبا خمسينَ مرةً
قد راحَ في الهباء،
فخاءُ خدٍّ ما تزال متمسكةً
بمثلثها الشهيرِ عندكَ قبل تنميلةِ
الأصابع،
وكافان في كركديه
ما تزالان محفولتيْن بالتواءاتٍ ليّناتٍ،
كأنهما في المطبخ الذي قبّلتَ فيه
حوضَ التي حوضُها شِصٌّ،
ثبّتّه بين السبّابة والإبهامِ
مسنودًا إلى الوسطى،
وحاول رابعةً،
يكفيكَ أن تستدعي نداءَ

«القلم وما يسطرون»،
حتى يتطورَ التاريخُ الطبي للعُقَل،
لا تقسْ على الجماليات
بل قِسْ على قدرةِ الأصابعِ
على الضَمِّ،
وتذكّرْ أنكَ خططتَ بهذه الأصابع
على قميص محبوبة:
«ترى نفسَها بديلًا للرحمن»،
فنظِّم التنفُّسَ، وحاول خامسةً،
عديدةٌ هي السُّبُل:
عندكَ الديوانيُّ
خصَّصْه للإخوانيّات،
وعندكَ النَّسخُ
وجِّهه للرسائلِ العاطفية،
وعندك الحُرُّ
صحِّحْ به بروفةَ البيانِ الشيوعيِّ،

وعندك الثُلثُ

اجعلْه لقصيدةِ النثر،

ارسم الباءَ

بعدها الطاءَ

مشبوكةً في تاءٍ مربوطة،

لتصبح لديكَ: بطّةً.

ثم أطلِقها على ترعةٍ بعيدةٍ،

واحتفظْ منها بريشةٍ

تخطُّ بها بعد الوداع:

ذهبتْ بَطّةٌ،

وبذا تكون قد أنجزتَ دورةً كاملةً

من الرسم البياني للسقوط والعلوّ،

ضمَّ السبّابةَ والإبهامَ والوسطى،

ووسِّع عليكَ:

يكفيكَ الرُّقْعةُ لتوصيلِ المقاصد،

لا تتشبثْ بأوليّةِ الشّكلِ على المعنى
في مثل هذه الاختبارات،
فقفزةٌ كبرى أن تجيدَ راءَ روحٍ
وجيمَ جسد،
ألم يكن قطبُكَ مضروبًا في شرايين مخِّه،
حينما قال: الجسدُ قبّةُ الروح؟
فحاول أخيرةً،
وإذا اختتمتَ هذه القطعةَ الآنَ بجملةِ:
«جفّتِ الأقلامُ ورُفعتْ الصحف»،
فأنتَ سليمٌ،
إذن، اختتمْها:
جفّتْ الأقلامُ،
ورُفعتِ الصحفُ.

مبتدأ

إنها الرقيقةُ التي مبدؤها الإيماءُ،

تطوف بالعمر

من أجل أن يجدّدَ العمرُ

اسمَه الحركيَّ.

إنها الناعمةُ التي مُتكؤها الشعيراتُ،

حيث تسري تذكرةُ داود،

من أجلِ أن تستيقظَ الفواكه

لكي يدركَ العشّاقُ

أن الدَّم خوّانٌ،

وأنَ الرحابةَ

خدعةُ العافينَ عن الناسِ.

يا سيدي:

الخفيفونَ

للخفيفة.

تحتوي قصائد هذه المجموعة على تناصات مع شعر عربي قديم، وشعر فاطمة ناعوت وحسن طلب ومحمود الشاذلي وأحمد شوقي وأحمد عبد المعطي حجازي وعبد المنعم رمضان والسيّاب وشعري وآخرين.

ديـــوان

حمامة على بنت جبيل

(٢٠٠٧)

الى رجلٍ لبنانيٍ من بنت جبيل

(حسين سعيد بيضون)

حديثُ سائقِ الجرّافة

تحية إلى راشيل كوري، الناشطة الأمريكية في حقوق الإنسان، ذات العشرين ربيعًا، التي وقفت أمام جرافةٍ إسرائيلية في رفح، لتحول بين الجرافة وهدم بيتٍ فلسطيني، معتقدة أن أمريكيتها ستشفع لها في منع هدم المنزل. فدهستها الجرافة ودهست المنزل، عام ٢٠٠٣.

باسم الدبّاباتْ
باسمِ البلدوزرِ والدّانةِ والملاّلاتْ
باسم نقاءِ العنصر، والهليوكبترِ،
والجنزيرِ، وزغردةِ الرّشاشاتْ
باسم الفوضى الخلاّقةِ،
وينابيعِ الدمِّ الدّفاقةِ،
ويهوذا، وجمالياتِ الذّبحِ،
وباسمِ الجرّافاتْ
أبدأُ مرضاةَ الرّبِّ المتعطّشِ:
هذه البنتُ مدجّجةٌ
بيدينِ تخطّانِ أكاذيبَ عن الواحةِ
في الصحراءْ،
ومجهّزةٌ بعيونٍ ترنو للصّبْيةِ
بحنوٍّ، وصفاءْ.

تركتْ رَغَدَ الأهلِ،
وبدغدغةَ الأرجوحة،
وفيونكات الشَّعر،
ورجرجةَ الزئبقِ تحت الأضواءْ
وأتتَ كي تفضحَ موسيقى الثورِ،
وتكشفَ فلسفةَ الوكرِ،
فحُقَّ عليها السَّرَيانُ إلى الملأ الأعلى
حيث صحابتُها البلهاءْ:
مارتن لوثرُ، ويسوعُ، أبو ذَرٍّ،
جيفارا، فرجُ الله الحلوُ، وجبرانٌ،
وغاندي، والشعراء.

أبدأ مرضاةَ الربِّ المتعطشِ،
أتقدّمُ صوبَ البنتِ الواقفةِ أمامي،
كالتفاحةِ تنتظرُ القضمةَ،

(وأنا القاضمُ)

لن يثنيني الخوفُ بعينيها الجاحظتينِ

(وعيناها مُغْريتانِ)

أدوسُ الجسدَ الغضَّ بجنزيري

(والجسدُ الغَضُّ شهيٌّ ريّانُ)

فينبعجُ ذراعٌ بَضٌّ

(سُحقًا للأذرعةِ البَضَّةِ في الأرضِ)

ويتفسّخُ نهدانِ عفيّانِ،

(اخسِفْ يا ربُّ الأثداءَ الناهدةَ بأرجاءِ الكونِ، فلا يبقى فوق

الشجرةِ طَيَرانِ)

فيا بنتَ العشرينَ ربيعًا:

لستُ من الشبّانِ ضعيفي الإيمانِ،

فينسحبونَ من الجنديّةِ،

حتى لا تجرحَ رقّتَهم بعثرةُ الأشلاءِ،
أنا الجنديّةُ إلهامي،
والهَتْكُ غرامي،
كوني، دِرعًا بشريًّا، كوني شقراءَ،
فلن يرتجفَ مسيري نحو العِليّينَ،
ومن أين ستأتيني الرجفةُ
وأنا التلمودُ حليفي،
والليبراليونَ العَربُ حليفي،
سورةُ ياسينَ حليفي،
والمزمورُ حليفي،
والإصلاحُ المتدرّجُ عند العُربانِ
حليفي،
والإسلاميونُ الجُددُ وصيفي،
وشيوخُ النفط رديفي.
يا بنتُ:
أنا أسلحةُ الطيران العَذْبةُ

أجنحتي،
والقهرُ المصريُّ رفيقي.

هذي مَرْضَاةُ الربِّ المتعطشِ:
سيسيلُ على الرملِ دمُ الأنثى،
معجونًا بمفاصلها المفرومةِ،
وبسلسلةِ الظَّهرِ المقصومةِ،
فتطيرُ على أطلالِ الدّور المهدومةِ
نظرتُها الدّامغةُ،
وصفحةُ كراستها المشؤومةِ،
ورسالتُها للأبوين إذا قالتْ:
«قَوْمي صُنّاعُ حضيضِ البشريّةِ،
قَوْمي إثمُ الجغرافيا،
قَوْمي قَيْحي ونَزيفي».

حينئذٍ سأتمُّ عبوري الملهمَ فوق
الجسدِ المهروسِ،
وأفتحُ صدري لهواءٍ حُرٍّ،
وسأعزفُ في مرضاةِ الربِّ نشيدي:
باسمِ الشيخِ،
وباسمِ القسِّيس،
وباسم الحاخام،
أَمسحُ الدمعَ المتقنَ جنبَ حوائطِ
مَبْكايَ،
لأسرقَ حَطَّةَ كهلٍ،
وأسمِّمَ بزّازةَ طفلٍ،
وأرشُّ الأنفَ المعقوفَ على الآبارِ
الجوفيّةِ،
ثم أمتِّعُ ذاتي،
بمشاهدةِ الرجلِ المُقْعَدِ حين يفتّته
الصاروخُ إلى جزلٍ طيبةٍ
في مائدةِ الأمراءْ.

كوني راشيلَ،

وكوني ماري،

كوني زينبَ، أو يوجيني،

ليس الرسلُ أدّلائي،

فالفوّهةُ إلهي،

والراجمةُ كتابي بيميني،

صُفٌّي فوقَ يديكِ التوراةَ،

وصُفّي الإنجيلَ،

وصُفّي القرآنَ،

فليسَ تنجّيكِ الإصحاحُ،

وليس ينجّيكِ نشيدُ الإنشاد،

وليس تنجّيكِ السّورُ المَكّيَةُ،

من شَغَفي بالبدنِ البشريِّ

ومن فيضِ حنيني.

هذي أسفارُ الرّيبة،

لكنْ موهبةُ الرّشاشِ يقيني،
لن تُطرفَ عينايَ هنيهةَ أنجزُ كونشرتو الهَرْسِ،
لماذا أجفلُ وأنا محروسٌ:
بالشرطيِّ الكونيِّ،
وبالملكِ البدويِّ، وبالسلطانِ
القَطَريِّ، وبالجنرالِ الليبيِّ، وبالحزبِ
الوطنيِّ الديمقراطيِّ، وبالأسدِ
السوريِّ، وبالجاسوسِ اللبنانيِّ،
بمشيخةِ الأزهر، والتشريعِ
السودانيِّ، وبالإنقاذِ الوهرانيِّ،
وبالبترولِ القوميِّ، وبالعسكرِ
في كلِّ مكانٍ عربيٍّ.

يا بنتَ العشرين ربيعًا
هل أترددُ وأنا برهانُ الربِّ على جيشِ الله المختارِ،
وبرهانُ الغطرسةِ على خلقِ الهيكلِ

من مُقَلِ الأولادِ،
وبرهانُ الأسلحةِ على
صُنْعِ الأخلاقِ العليا:

فالزّخاتُ: سَمَاحٌ،
والسونكي: تقديسُ الآخرُ،
والقنصُ: شفافيةٌ،
رصُّ الجثثِ جوارَ الجثث: إخاءٌ،
نَسْفُ الرُّضعِ والفتّيةِ والكَهْلِ:
مساواةٌ،
والقاذفةُ: العَدْلُ،
وتجريفُ البيتِ: الأمنُ،
وبَقْرُ البطنِ: سلامُ الشُّجعانِ.

فباسمِ الدّباباتِ
باسمِ المعبدِ في شارع عدلي،

وأشاعرةِ الفقه،

ومعتقلِ الواحاتْ

باسمِ العَلَم سداسيِّ النجمةِ،

وهو يطلُّ على نهضةِ مصرَ،

وباسم القنّاصةِ، والغوّاصةِ،

وكتابِ أخضرَ، والتكفيريّينَ،

وسجنِ المزّة، وحديدِ العزّ، وحَسَنِ

البنا، وسماسرةِ الإفتاءاتْ

أيتكرُ بَهَائي وسُموّي ونُشوري:

سأمرُّ على الجسدِ النمرودِ الغَضّ بجنزيري

حتى إن ذابتْ في الدّمِ رسائِلُها الفضّاحةُ

أشرقَ قلبي،

وترطّبَ في القيظِ هجيري

فأعود إلى بيتي وبناتي وامرأتي وسريري
حيث كليمُ الله على الجبلِ خليلٌ،
والجثثُ اليانعةُ سميري.
ثم أتمتمُ بخشوعٍ قبلَ الإغفاءِ صلاتي:

باسم الدباباتْ
باسم البلدوزرِ والدّانةِ
والجرّافاتْ
باسم نقاءِ العنصرِ والشهوةِ
والحاخاماتْ
أرضيتُ الربَّ المتعطشَ،
وضميرُ الدنيا ماتْ.

٢٠٠٦/٣/٢٠

حمامةٌ على بنتِ جبيل

هذي قانا

خاتمُ عرسِ الأحياءِ،

يُغَصُّ الدهرُ بشهقتها،

فيموتُ بتلويحةِ كَفيّها شَهْقانا

هذي قانا

تُدني بيديها نحو الخلقِ،

تربُّتُ فوق غريقٍ

وتسبِلُ غَرْقانا

هذي قانا

تحت ركام مآذنها نلقىَ شيخًا،

تحت ركامِ كنائِسها قَسٌّ يَلقانا

هذي قانا

وَعْدانِ بكَرْمتها:

وَعدٌ أبهجَنا في الحلم،

ووعدٌ في الواحدة تمامًا

أشقانا

***

تنهض زينبُ من تحت الردم،
مغبَّرةً بالزعتر والسُّمَّاق، تفتّشُ:
هذي كَفُّ شقيقي بأصابعها المنحولة،
هذا رأسُ أبي بالنُّدبةِ في جبهتهِ
من أثَرِ السّجداتِ،
وهاتان القدمان لأختي:
بالخلخالِ على كاحلها الأيسرِ،
والوشم على كاحلها الأيمنِ،
أما ذاك ففخذُ العَمِّ المشلولِ
بطلقاتٍ في السِّمانةِ
وتمزّقِ كتّان السّروالِ.

تهرول زينبُ في الطرقاتِ المشحونةِ
بيقولِ الزّخّاتِ،
مغبّرةً بالزعترِ والسُّمَّاقِ،
توزّع من سلّتها للأحباب هدايا:
تعطي عبده وازن كُمًّا من فستانِ

الجارة ليعلّقه في أبوابِ النومِ جوارَ
حديقاتِ حواسِ النهمين،
وتعطي لمحمد شمس الدينِ جديلةَ
شَعرِ زميلتها في الدرسِ ليغسلَها في
الليطاني بعد هدوءِ الغارة،
وتحطُّ على منكبِ شوقي بزيع فيونكةَ
عائشة إذ طارت فوق المئذنة
مصوّحةً بزمانِ الغندرةِ الحلو،
وتسند عكّازةَ جَدٍّ العائلة على دولابِ
چمانةَ ذي الأثوابِ الزاهية،
وتمنح عباس بيضون غوايشَ أرملةٍ
مَرَقتْ في سُرّتها أسياخُ السقفِ
لكي يذهبَ في نقدِ الألمِ بدعمٍ رَبّانيٍّ.
تنهض زينبُ من تحت الردمِ،
مغبَّرةً بالزعترِ والسُّمّاقِ،

مزيّنةً بالأشلاءِ وبالأرزِ الأبيضِ،
وتصفُّ على كورنيشِ المزرعةِ
صبايا الرّوشةِ، وكوادرَ تنظيم الحبِّ
العذريّ، وكُتّابَ المهجر، وأديباتِ
الجسدِ اللاعجِ، والملاّحينَ، وأحفادَ
أمين الريحانيِّ، وموسى الصّدرِ، وتجّارَ
البَسْطاتِ، وعمالَ التفريغِ، ودكروبَ.
فراشاتٌ نامت فوق كتوفِ
الملتمّين على بعضٍ في الملجأ، ووراءَ
المصفوفين على البحر مراكبُ صيدٍ
غُصّتْ بالسمك المحترقِ وبالصيّادينَ
المشبوكينَ بشصٍّ.
زينبُ تقرأُ فيهم بعضَ وصايا الأطفالِ

الصاعدةِ من العصف المأكول:

هذي قانا

كانت مفتاحَ تفرُّقنا،

صارت مفتاحَ لُقانا

هذي قانا

سهمٌ محبوكٌ في رقبةِ مخزيِّينَ،

ودرعٌ من سهمِ الذلِّ وَقانا

هذي قانا

ترجمةُ الشِّعر،

وحصّةُ تاريخ ليست في الجدولِ،

بئرُ مودّاتٍ كنّا بالدّم سقيناه العزةَ،

فسَقانا.

***

صعد شهابٌ من ضاحيةٍ بجنوبِ التلّة
صوبَ الحاراتِ الضيّقةِ ونقَّرَ فوق
الأبواب:
ففتحَ المارونيُّون، وآلُ البيت،
وفتح السّنيّون، امتزجَ نشيجُ
الصائبةِ بدمعِ الدهريّين،
فهبطَ من التَّبَةِ طوّافو سيِّد شهداء
الجنة،
ليرشّوا جسدَ ابنِ الله بزهرٍ حرٍّ،
فتحَ المحبوسونَ بمنزلةٍ بين المنزلتين
وفي أيديهم قنديلٌ،
فتح الأرمنُ، أهلُ البدعةِ في النارِ،
وعُصبةُ مارسَ ملتفّين بأرزٍ
وكتائبَ،
فتح المحرومون على الأرضِ، وصوفيو

الخِرقةِ في جبّتهم خَلاّجونَ هُوَاةٌ
تحت التمرينِ،
فنقَّر فوق الأبوابِ شهابٌ آتٍ
من ضاحيةٍ بجنوبِ التلّةِ:
فتحَ الممنوعون من الصّرفِ،
وفتح الفينيقيّون، وجبرانٌ، دروزُ
الوادي، وجعافرةٌ، ويسوعيّون،
وفتحَ الماديّونَ الجدليّون: بزندٍ مطرقةٌ وبزندٍ
سندانٌ وعلى الكاهلِ تابوتٌ للشهداءِ
وتابوتٌ للصّدّيقينَ.
هنا نقّر فوق الأبوابِ شهابٌ
نادى النسوةَ بالغزل المكشوفِ
فبانت في جلوتها:
مريمُ رافعةٌ شمعًا في الهيكلِ،

وتلتْها فاطمةٌ وهي تسمّي طلعتَها

الزهراءَ،

تلتْها تيريزا ممسكةً صحنَ بخورٍ

هنديٍّ درءًا للشرّ،

تلتها هندٌ وهي تخبّئ كبدًا

مأكولًا في كيسٍ،

وتلتْها الخنساءُ الراثيةُ فتاها الصّبَّ،

وفي آخر جلواتِ النّسوةِ بانتْ

ماجدةُ الرومي وهي تحرّكُ جَرَسَ

الأحدِ لدفنِ السّوّاقينَ،

وبثِّ الترتيلِ الكنسيّ المشروخْ:

طوبىَ للمقتولين وطوبىَ للجرحىَ

طوبى لرجالٍ رَمَقوا الليلَ طوالَ العمر

وما رمقوا صبحا

طوبى لأيادٍ رأبتْ صَدْعًا أو

داوتْ قَرْحا

طوبى للجثثِ المطمورةِ إذ صارت

كشفًا أو فَضْحا

طوبى للمنزوحينَ إذا باتوا إثمًا

ليس يزولُ ولا يُمحى

طوبى للدمِّ السَّيّالِ هنيهةَ يغدو

بعروشِ الصمتِ نزيفًا

أو قَيْحا

طوبى للمقتولينَ وطوبى للجرحى.

***

ركبَ الجمعُ الجامعُ مركبةً من خشبِ
البلّوطِ على الموجِ،
وكلٌّ يلمس بأصابعه طرفًا من جسمِ
شهابٍ آتٍ من ضاحيةٍ بجنوبِ
التلّة، ينزل للأودية نهارًا، ويطيرُ
على الأسطح شفقًا، ويلوّح بالأغصنِ
غَسَقًا، ويدير أراجيحَ هزيعًا،
ويزيحُ حدودًا فجرًا،
وهو ينقِّرُ فوق الأبوابِ،
إلى أن وصلوا مصرَ،
وعند سراي القبّةِ هتفوا في حنجرةٍ
واحدةٍ:

سقطَ البائعُ والبَيَّاعْ

سقط النافعُ والنفعيُّ المستنفِعُ

والنَفَّاعْ

سقط الراضعُ من لبن السيّد

والرَضّاعْ

سقط اللابسُ في الجَهْر قناعًا،

واللابسُ في السِّرِّ قناعْ

سقط التابعُ والتبعيُّ

المتبوعُ التبّاعْ

***

أضاءت فوق الجسرِ قنابلٌ،
فانعكفَ الحطّابون على صُنعِ نعوشٍ طازجةٍ،
حتى يتوازى عددُ النقّالاتِ على عددِ
المُنطلقين إلى أعلى،
تنهض زينبُ من تحت الردم،
تلملمُ أشلاءَ الرُّضّعِ وشظايا قنّيناتِ
اللبنِ الفارغةِ،
وتسحبُ رُقعَ الأقمطةِ المحشورةِ بين الطوبِ
وبين الأسمنتِ،
لتحملَ في منديلِ يديها سبعَ حماماتٍ
نازفةٍ،
وتطوفَ على الأمكنةِ تطابقُ بين
الجغرافيا والطيرِ:
تضمِّدُ واحدةً في مرجعيونَ

هنيهةَ كان الوعدُ الصادقُ يخفقُ
بصدور الشّبان المتحفينَ بسورِ
الرحمن وياسينَ،
تضمّدُ ثانيةً في بنتِ جبيلٍ
ليلةَ راح ملائكةٌ صغراءُ
ينطّون بخفّةِ روحِ قُدُسٍ بين
المدفعِ والدبابةِ كالباليرينا،
ثم يشكّون التفاحةَ في الفخّ،
تضمّدُ ثالثةً في مارونِ الراس
قبيلَ المغرب كي يتمكّن عمّالُ التنظيف
من العمل الروتينيّ:
غسيلِ الطُّرقات من الرَّوَثِ
ومن جندِ الله المختارينَ،
تضمّد رابعةً في عيتا الشعب قبالةَ
مستشفى طفق يعالج جرحى الحبِّ

ويقرأ فوق رؤوسهم نشيدَ الإنشاد،
ومطلعَ:
«المجدُ للشيطانِ معبودِ الرياحِ،
من قال لا في وجه من قالوا
نعم»،
ثم يطوفون على الملجأ بالبطانيةِ
وشريحةِ خبزٍ،
وتضمّدُ خامسةٌ في ساحاتِ بعلبكَ
حيث شيوخُ المعهد يتلونَ سطورًا
من مزمورٍ حسّيٍّ،
ويصدّون المطرَ بأنملةٍ،
ثم يعيدون الكرْزَ إلى الناصرةِ،
تضمّدُ سادسةٌ في صورٍ،
بجوار مراكبِ شمسٍ خلّفها المصريونَ
القدماءُ على الساحلِ قبل التوحيديينَ،

وخلفَ حطام المعبدِ ترمي القارَ المغليَّ
على خُدّام الحلم الأمريكيِّ،
وعُشّاقِ الخَدرِ الرومانتيكيِّ،
وخبراءِ الغوّاصاتِ الحربيّة، وعمائم
تقبيلِ الأقدام، وآنئذ:
تنتصبُ صبايا شرقياتٌ يدرءن
البارجةَ برمشِ العينِ،
تضمّدُ سابعةً بالضاحيةِ جنوب
الدنيا:
حين يشبُّ المدفونونَ جماعيًّا،
يتزيّون بعُشبِ السهل،
يشيلون مناقيشَ وألبانًا لامرأتين
بأقصى الهدم:
الأولى من نسل القائل «سِفْري
حَمّالٌ للأوجه»،

والثانيةُ ابنةُ من بَشَّرَ
«في الناس مسرَّاتٌ وعلى الأرض
سلامٌ»،
فوق المائدةِ طعامٌ من يثربَ وطعامٌ
من أرغفةِ القُدّاسِ،
اللوحاتُ على الجدران: العذراءُ، التوبةُ،
صلبانُ الفادي بشرًا، والكعبةُ، والعَلَمُ
اللبنانيُّ،
وفوق الكرسيِّ المتحطم أقفاصُ كناريا
خضراءَ، تبصُّ إلى الأُفَقِ المُغْبَرِّ
وتهمسُ: يترصَّدُنا الرُّخُّ.

***

أتمّتْ زينبُ رحلتَها،

وهي تطابقُ بين الجغرافيا والطير،

وعند الجسر المقصوفِ التمّتْ سبْعُ

حماماتٍ منزوفاتٍ فوق المقبرةِ على

هيئةِ بروازَيْن كبيرَيْن:

يضم الأولُ: دير ياسين، وكفر قاسم،

وبحرَ البقر، وأبا زعبل، صبرا

وشاتيلا، وقانا ٩٦، وقانا ٢٠٠٦

ويضم الثاني:

وزراء انبطحوا في الوحلِ،

وحُكّامًا نذروا أنفسهم للركعةِ

خلفَ وليِّ النعمِ،

سلاطينَ اختبأوا تحت الطبْليّة،
عقداءَ ابتلعوا الميكروفونَ،
وعملاءَ برتبةِ رؤساءِ كنانةِ أرضِ الله،
سماسرةً في هيئةِ قادةِ أسلحةِ الطيرانِ،
وأفنانًا في بُردةِ علماء الحَرَميْن،
وسيّافينَ بشيكلٍ.

***

كانت سبعُ حماماتٍ منزوفاتٍ
تحتضر وتنهضُ،
وهي ترفرفُ فوق الأمّةِ معلنةً
آخرَ نبأٍ في الشاشات:

هذي قانا
مختتَمُ محبتنا، مبتدأُ شَقَانا
هذي قانا
مشوارُ سعيرٍ
ينبعثُ على جمرته النبّاضةِ حَرَقانا

هذي قانا
رُمحانِ صريحانِ اتّجها لبلادتنا في الهَوْل،
فشقّانا

هذي قانا

سِكّينةُ نارٍ صارت

بين النُبلِ وبين الخِسَّةِ فُرْقَانا

هذي قانا

عارُ العربِ العاربةِ المستعربةِ.

حروفيٌ:

قافٌ: قنٌّ،

ألفٌ: إمعةٌ،

نونٌ: نجّارو نعشٍ،

ألفٌ: آمين.

٢٠٠٦/٨/٢

بعضُ سيرةِ بهلول

أشهدُ يا حارسَ الريحانِ أختي:

تلتوي بغتةً في أمِّ كلثوم،

وتشكو هجمةَ الدم النسويِّ في حجرة المترجمين،

ثم تمضي إلى وهرانَ على طريقةِ الدراويش.

كذا بدأ:

الحُمّى ممسكةً بأخيه في آخر الصّوانَ،

وهو يهدهده على الكتفين باللّمحِ،

بينما الكُتَّابُ يختمُ: إذ جاءه الأعمى.

وكذا انتهى:

يأتي من الخلفِ خفراءُ مبرقشونَ،

يقودون الرجالَ لسُخرةٍ،

والخديويون يضبطون القلنسوات: بخٍ بخٍ،

فجرّبتُ التباشيرَ وصحتُ في حِصَّةِ الأولاد:

«نحن طلائعُ حزب الثورة

نبذرُ في الأرض العطشانة للضوءِ الصافي

بذرةً

كي تُنبتَ أزهارًا، قمحًا، حريةَ أديانٍ،

قُدْرَةً

نحلم أن تصبحَ مصرُ المحروسةُ عادلةً،

حُرّةً»

صباحًا:

تبدّدَ كورسُ الأفراح فلم تُنْجِني البشاراتُ،

كذا: تساءلَ الفقهاءُ عن مغزى وجودِ وهرانَ

في سُلَّمِ الخالات،

فأحالتْهم صغيراتي إلى ملموسٍ بسيدةٍ،

وخططن:

«تومئُ للشجرِ بقمصانٍ زانتْها الخاطرةُ»،

ثم لعبنَ دورَ الولدانِ:
«وطني طفلٌ وسماءُ الوطن طفولةْ
نقرأ، نرسمُ، ونهندسُ، لكنْ بطفولةْ:
خارطةٌ لفلسطينَ محرَّرةٌ،
وشعارُ الحريّة: حَجَرُ طفولةْ»

لم تُجنى البشاراتُ،
كذا شحَّتْ المؤوناتُ من صوامعِ العشيرة،
وشالوا أبي من قوائمِ القطن.
كانت السبعيناتُ قاسيةً،
وصارت الثمانيناتُ قاسيةً،
عند هذا الرَّبع:
جفَّ الوحيُ،
وحارسُ الريحانِ مات.

بعضُ الإحالات:

حارسُ الريحانِ: بهلولٌ.

أم كلثوم: برْلنتٌ، أو سَلوا قلبي غدَاةَ،

وهران: لعلها موئلُ الغرباءِ، أو لعلها

جميلةُ التي أجلسوا ثديَها على الكهرباء.

الخديويّون: حجّاجونَ عصريّون،

أو سماسرةُ الغرام.

الفقهاءُ: قال قائلهم:

ستون عامًا تحت حاكم ظالم،

خيرٌ من لحظةٍ بغير إمامٍ للصلاة.

الملموسُ: فكّ الله حبسَه.

فلسطينُ: مكانٌ لاختيار الهيئةِ،

أو ميلادُ سين حاء راء،
أو عَلَمٌ على أبواب العروبيّينَ،
أو يحمي حِماكِ الشبابُ،
أو عِلّةُ المعلولِ،
فاخترْ وجهةً.

كذا فصولٌ تعطي لبعضها الرايات،
فارتقب يا حارسَ الريحانِ أختي وهي تكشفُ
عورةً:
كان يا ما كان إذ جاءه الأعمى.

***

يقطع من لحمه:

«حين خلعتَ ساعتَك قبَّلتُكَ،

لأنكَ أبعدتَ عن فِراشِنا العقاربَ،

حين ضممتَني همستُ:

كيف تتسع عينُ عصفورٍ للسماء،

ولا تستطيع أن ترى مزلاجَ القفص؟»

ليس لي مصدرٌ سوى خِزانةِ المسكوتِ عنه،

إن شئتَ علامةً

فحوِّمْ حول الكتان والكاكي

واصبرْ أمام العيونِ التي على أهبةِ البكاء

ثم قِفْ على:

تَرَى فؤاديَ الكذوبَ خلفَ رونقِ

القناع.

غيبوبةُ الأمِّ لم تَطُلْ لأن النزيفَ رحيمٌ:
والفتى يستعيدُ طشتَ الحُموم
والبخارَ
وقَرْصة السِّمَانة،
يستحلبُ درّاجةَ «القَبولِ»
وردمَ ترعة المحافظ
وقهرة الشَّرْدِ الذي أطاح بالبرتقالِ.
يقطعُ من لحمه،
لكنني لن أحذفَ الأسماءَ
ولا الكليّةَ الحربية.

***

تبدَّلَ الوقتُ،

سقطتْ من الأصابعِ المحبّةُ والصياغات،

وغُودرتْ أرائكُ: ينظرون،

كلُّ الصبابات طُيِّرتْ في محنةٍ من امتحانٍ،

فتايَ الذي رأيتُه تحت مجهرٍ:

نِيلَ وكان لا يُنال.

فُضِحَ الزمانُ: أكتوبر ١٩٩٣.

فُضِحَ المكان: كلُّ بقعةٍ هزَّها نَفَسُ المدرِّساتِ،

فُضِحَ مضمونُ المقاصد:

«أعرف أنه في السادسةِ من كلِّ ثلاثاء،

سيجلس الرجلُ في الأربعين،

والفتاةُ في العُروتَيْن،

سوف يثرثران عن الرطوبةِ التي لم

يُرَ مثلُها في البلاد،

وعن خصائص المنشآت في البحر،
ويعرِّجان على مفجِّراتِ التطرف»

لم يكن هو الذي ولولَ في فالجٍ:
كان ثلاثاء الهاوية طويلا؟
(خمسُ دقائق-
البائيّةُ والحائيّ-
الغد- ٩٠)

سيكون في عينيها سؤالٌ تخفيه بأنواع الأبناط،
سيكون في عينيه لاعبٌ يخفيه بالكوميديا،
عشرونَ حولًا قهقرى:
ظلّتِ السبّورةُ مشغولةً بالبط،
وهو يرسم الوجوه التي عاشها في:
صبحي يوسف،

هكذا تمامًا:

بطةٌ وراء بطةٍ أمام بطةٍ، دواليك.

وبطةٌ على بطةٍ من بطةٍ إلى بطةٍ

دواليك.

وفي الأعلى: فَرَسُ النَّبيّ

يكسر الأنماط.

تبدَّلَ الوقتُ،

ولا بدّ من ترجمةٍ للبصيص:

أكتوبر ١٩٩٣: يومَ قيلَ لي:

صُبَّ الملوكَ والبياضَ في فمي،

ويومَ عانَقَ الغزالُ صيادَه في: CNN،

الثلاثاء: سبقتْ إليه الإشاراتُ،

قارنْ:

«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاثٌ:

النساءُ، والطِّيبُ، وقُرَّةُ عيني»
التطرفُ: راجعْ لجنةَ النظامِ والسكاكين المبَسْملاتِ
في الجامعة.
الأبناط: بيروت، وبغدادُ، والأندلس.
صبحي يوسف: ابتدائيتي، شهيدٌ راح في
الحرب التي قال فيها المطربون:
ضربه كانت م المعلِّم
خَلَّتْ الاستعمار كيت وكيت
وكيت.
ألم ترَ كيف أُسقِطتْ من الأصابعِ
المحبّةُ والصياغات؟

***

في لقطة: شالَ الحَمَامُ،
ذُوبتْ في حامض الكبريتِ عاصمةٌ أخيرة،

«كانت العصفورةُ في مواجهة الجنازير،
وكان الطفلُ يشدُّ طائرته الورقيّةَ من
تحت دبّابة محطَّمة»

«عينُ الحلوة» عَزَفَ في مغربِ الأتقياء،
يستهلُّ نفسَه حزينًا وينُهى نفسه حزينًا،
وحوله ناسُ الحياة مثقلونَ بالأنفس،
ومصدري: بلسمُ.
«يجرفون الورقَ الأبيضَ للبحر،
ثم يلهثون خلف خيطٍ يمرق في الحارات».

ليس مولعًا بالقافية التي تقبض الإنسَ،
أشرقتْ غرائبُ الأوقاتِ وشعشعَ حالي:

كان يلمح المهاجرينَ والأنصارَ من شِقٍّ،
ويرى الزرافاتِ مبذورةً في كلٍّ ميناء،
وهو يشدُّ طائرته الورقيّة من تحتِ دبابةٍ،
ويستلُّ من بلسم:
«سُدّي هذه الفوّهات بقمصاني،
واسهري قُربَ قلبي».
تحت مجهرٍ:
«تبدَّت الجثثُ تطلقُ الطائرات الرُّوزَ،
على أسطحِ العمائر التي مصَّها شفَّاطُ
الهواء»
بلسمُ: المجلةُ، والدواءُ وكفُّ مطلوبي على
مكمنِ عفَّتي.

خايلتْني التراكيبُ،
فبعتُ خليّتي وانصرفتُ للنُّواة،
فاجأني رعبُ وكالة الغوث،

فحاولتُ أن أعودَ لاحتراقِ العواصم،
لكنني فشلتُ:

هذه سيدةٌ تراجع فهرسَ القلوب،
قميصُها الطحينيُّ فوقَ بيدقَيْن،
وضحكُها عفوٌ عن الكاظمينَ الغيظَ.
لهذا أقول في لقطة:
خطُّ الحمامِ،
وحامضُ الكبريتِ مستقبلُ الشعراء.
ليس هناك: أراه،
ليس هناك: تحت،
ليس هناك: مجهر.

مارس ١٩٩٤

زينب ثعلب

ارقبوها

تخبّئ حزنَها في صندوقِ العرس القديم،

حتى لا تنزعجَ عصافيرُ الحديقةِ

من تواصل النهنهات،

فعصافيرُ الحديقةِ زُغبُ الحواصل،

تجرحها صورُ الراحلين على خوان الردهةِ

الخفيفةِ الضوء،

ارقبوها

تعلّق الماريونيت الضحوكَ

في شارع المنصور محمد،

حتى يظن الباعة الجائلون أن الحياةَ جميلةٌ
فالباعةُ الجائلون يحتاجون مثل هذا
الظنِّ،
كي يصرِّفوا الأمشاطَ والبطيخَ والجوارب.
ارقبوها
تدفنُ الجروحَ تحت بلاطةِ الصالون
كي لا يتعثر الزائرونَ في الموتى،
فزوّارها مرفَّهون،
وشعراءٌ محزونونَ خِلقةً،
ومناضلون رقيقو الحشايا.
يا جماعةَ الخير:
هذه سيدةٌ لئيمةٌ،
تريد أن تستأثرَ بمجدِ الألم

وحدَها

من غير أن يقاسَمها الرعاعُ والشيوعيون،

وتريد أن تحتكرَ العلوَّ

وحدَها

من غير أن تترك فُضْلةً منه

للقديسين والملائكةِ والشهداء.

يا جماعةَ الخير:

هذه امرأةٌ مضادةٌ للمرحلة،

هذه امرأةٌ عكسُ مصر.

٢٠٠٥

رنيـم

كبرتُ في السهو رنيمْ

كنت أظن ستبقى طفلةَ قلبي،

مكتومةً في صدري،

والصدرُ حليمْ

كنت أظن ستبقى

أتملّى عينيها الرائقتين،

وأتسمّع من أحرفها صوتًا بهّاجًا

ونديًّا، ورخيمْ

كنتُ أهدهدُ،

كنتُ أحطُّ الدبدوبَ جوارَ الخدِّ البضِّ،

وكنت أربّتُ،

كنتُ أنشّفُ دمعاتٍ.

كنتُ أُنيمْ

ما إن نضجَ الغصنُ على الغصنِ،

وطاب الثمرُ على الثمرِ،

وماسَ القدُّ على الدنيا،

حتى انخطفتْ في السهو رنيمْ

عصفورةُ نار السنواتِ،

وأرنبةُ الحقل البرّيّ،

ومأثرةُ الربِّ العاطي.

فالربُّ كريمْ.

يا من حُزتَ يمامةَ دلتايَ:

افرشْ عشَّ لياليها بالرّيشِ،

وزقّقها القمحَ بكفٍّ،

وسُدها منكَ الأضلاعَ،

لأن يمامةَ دلتانا:

بعضٌ من لحم الرجل المعتلّ،

وبعضٌ من عزَّةِ عائشةَ،

ومرسالُ نعيمٌ.

كبرتْ في السهوِ رنيمٌ.

كانت كفّاها معجزتينِ،

ودمعتُها لؤلؤةً،

وتبسُّم شفتيها مَلَكًا

حنّانًا

منّانًا

وكليمٌ

إن فرحتَ غمرَ الدنيا زهرٌ أبيضُ،

وأطلَّ من الشرفاتِ هلالٌ حيٌّ

وحَيِيٌّ

وحميمٌ

وارتعشتْ في الفجرِ ملائكةٌ خضرٌ،

وتعافى كلُّ سقيمْ

إن حزنتْ يقفُ الطيرُ

على إصبعها المنحولِ،

فليس يرومُ وليس يُرِيمْ

ويُضاءُ الكونُ بأغنيةٍ من شجنٍ

يحيا فيها رضوانٌ،

ويموتُ رجيمْ

كبرتْ في السهوِ رنيمْ

طارت عن أيكِ طفولتِها الأولى،

لتحطَّ بأيكِ طفولتها الثانيةِ،

فإذا بالأيكينِ يهيمان براءٍ وبنونٍ

وبياءٍ وبميمْ

خُطفتْ في السهوِ رنيمْ

يا بنتَ الكبدِ المشقوقةِ:

كوني سيدةً في الصبحِ،

وكوني امرأةً في الليلِ،

وكوني بانيةَ البيتِ،

وفاتحةً للخيرِ،

فيغدو الخيرُ وسيعًا وعميمْ

هذي بَرَكةُ قلبي

ترعى يومَكِ،

وتحيط بهودجكِ الحرِّ،

وتنشدُ لصباحكِ مفتتحَ الترنيمْ:

يا بنتَ الكبد رنيمْ

اسمُ الله عليكِ،

سيحرسكِ الرحمنُ،

ويحرسُكِ رحيمْ

ويصونكِ مفتاحُ النيلِ من الشرِّ،

ومفتاحُ النيلِ عليمْ

فيحفُّكِ في الشرقِ نسيمٌ

ويحفُّكِ في الغربِ نسيمْ.

ستظلّين الطفلةَ بالقلبِ،

تظلّين المتكوِّمةَ بصدري،

والصدرُ حليمْ.

كبرتَ في العرسِ رنيم.

٢٠٠٥

فريدة

تنظر سيدةٌ فوق خرائبنا .

وتصيح: بَخ

كيف سأعبر صحراءً شاسعةً

لأشارفَ مبتدأ العمرانِ؟

فقلنا: بالرمز: بَخ

بقليلٍ من موهبةِ البوحِ،

قليلٍ من موهبة الكتمانِ

وقلنا هاكِ الفأسَ،

وهاكِ المونةَ والأسمنتَ،

وهاكِ تسابيحَ الرحمنِ.

ضمي سرجَ المهر على المهر،

ليبتدئَ الركضُ على وقعِ الحلم،

ويبتدئَ الخطوُ على وقعِ الخفقانِ.

فتنظر سيدةٌ فوق خرائبنا وتصيحُ:

هَلا بالمحنةِ،

وهَلا بمقامرةِ العمر،

هَلا برهانِ القلبِ على القلبِ،

مغامرةِ الإنسانِ على الإنسانِ.

السيدةُ تلمُّ شتاتَ الطير،

وتُحصي الطلقاتِ الحيّة في دارِ

الأسلحةِ،

وتحسبُ طولَ السَّقالةِ،

ومتانةَ أسياخِ السقفِ،

وعمقَ أساسِ البنيانِ.

وفردتْ فوق الدنيا شالاً:

فأتاها البحّارون، وصُنّاعُ السجّادِ العربيّ،

وصيّادو اللؤلؤ، والنقّاشون،
أتاها المعتزلةُ، والممنوعون من الجنّة،
والأطفالُ، وأهلُ الحارة، والشيخانِ.
وثانيةً فردتْ فوق الدنيا شالاً:
فأتاها الصاغةُ، والحِرفيّون، وشيّالو
القَصعةِ، والحلاّج يدمدم «ما في
الجبّة غيرُ الله»، وجرحى سلطة
مصرَ، وفلاّحو المنصورةِ، شهداءُ
الدفرسوارِ، ورسامو عصرِ النهضة،
وفريدُ وحسنُ: العطّارانِ.
وثالثةً: فردتْ فوق الدنيا شالاً:
فانسحبَ الحبّاكونَ، ومحتكرو الصلبِ،
وباعةُ آثارِ الكرنك، وسماسرةُ
القطرِ، انسحبَ الترزيّةُ، فقهاءُ
الدرهم، والطبّالونَ، وأغماءُ الحفيانِ.

فنظرتْ سيدةٌ فوق خرائبنا سائلةً:

هل هذا وردٌ أم فخٌّ في الريحانِ؟

فقلنا يا سيدةً فردت فوق الدنيا شالاً:

هذا قفصٌ: فأديري المفتاحَ لكي تنطلقَ

عصافيرٌ، ويطلَّ دعاءٌ الكروانِ،

وهذا درسُ التاريخ: فحطّي الموعظةَ

بإنسان العين، وعينِ الإنسانِ

وهذا أملٌ: رُشّي فوق شقوقِ الأملِ

رذاذًا من ماءِ الأفئدةِ ليصحو،

هذا وقتُ الصحيانِ،

وهذا وعدٌ: صيري بنتَ الوعدِ وبنتَ

طواعيةِ الإمكان،

وحينئذٍ:

سنقول: بَخٍ،

يمكن أن يُشفى الأعمى والأبرصُ،

لو أن الروحَ جوارُ الروحِ،

ولو أن الوجدانَ لصيقُ الوجدانِ،

ويمكن للسيّدةِ الصاعدةِ على الجبل

المعتمِ،

ألا تترك صخرتَها تتدحرجُ للسفحِ

المعتمِ،

لتتمَّ المعجزةُ: هنا، والآن.

٢٠٠٧/٢/٧

جمانة

بزغتْ في اللّيلِ حمامةْ
تحملُ نبضَ الأفئدةِ الحَرّى والأفئدةِ
الهيمانَةْ
بزغتْ في الليل حمامةْ
كيمامات بيضٍ فوق الأسطحِ،
طارتْ سارحةً،
سرحى،
سرحانةْ
بزغتْ في الليل حمامةْ
كوّةَ نورٍ في ظلمةِ قرويّينَ،
وقوسًا من قزحٍ حرٍّ،

ينثر في الدرب المعتم

ألوانَهُ

بزغتْ في الليل جمانةْ

دبّتْ فوق الأغطيةِ البيضاءِ،

كمثلِ رحيمٍ لاقى في السِّدْرةِ

رحمانَهْ

بزغتْ في الليل جمانَةْ

فإذا العمرُ الشائخُ يتجدّدُ كالعنقاءِ،

وزمنٌ يبتكرُ زمانَهْ

بزغتْ في الليل جمانَةْ

وإذا الحائرُ يجدُ القنديلَ الضائعَ،

والمبحرُ يصل المرفأ،

والخائفُ يكتشفُ أمَانَهْ

بزغتْ في الليل جمانَةْ

فيها من عين رنيمَ القطّةُ،

فيها من خطوتها سربُ فراشاتِ الحقلِ،

وفيها من طلعتها: الخوخةُ، والعنبةُ،

واحدة الكمثرى،

والرّمانَةْ

بزغتْ في الليل جمانَةْ

يا بنتَ البنتِ:

انفردي في الأفقِ الساكنِ كالنغمةِ:

حينًا هادئةً،

حينًا هيجانَةْ

يا بنتَ البنتِ:

انبسطي فوقَ الموجةِ إذ تجري خلفَ

الموجةِ،

أو نامي كالعازفِ إن ضمَّ - بتحنانِ العشّاقِ -

كَمَانَهْ

بزغت في الليل جمانة

كوني كرنيمَ: الرجفةَ،

وأثيرَ الصوتِ،

وطيرَ الحلمِ،

مغامرةَ العابدِ ورهانَه

بزغتْ في الليل جمانةْ

كوني كلميسَ: اللمجةَ،

وفطانةَ روحِ الجمرةِ،

قسطاسَ الحبِّ

وميزانَه

بزغتَ في الليل جمانَةْ

كوني كحنينَ الخمرةَ في الكأسِ،

جوارَ حضاراتٍ،

ودليلَ الدفءِ

وعنوانَهْ

بزغت في الليل جمانَةْ

فخذي ماءَ العين،

وشريانَ الصدر،

وأوردةَ القلب وخفقانَهْ

بزغت في الليل جمانَةْ

وخذي نورَ الشارعِ،

ومصابيحَ البيت،

وخيلَ الأخيلة،

هلالَ الحيِّ وصلبانَهْ

بزغت في الليل جمانَةْ

وخذي الآية والرايةَ،

والرقبةَ والركبةَ،

سلسلةَ الظهرِ، الترقوةَ،

الكاحلَ، والساعدَ، والسمّانَةْ

حتى تكبرَ بين أيادي البسطاء

كفرسِ نبيٍّ،

أو زرعةِ نيلٍ،

أو ريحانَةْ

بزغتْ في الضوء جمانَةْ

بعد قليلٍ:

بالتْ فوقَ الكتبِ،

وفوقَ الشِّعرِ،

جمانةْ.

٢٠٠٧/٢/٥

المحتوى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(موريافيتلى سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

الأعمال الشعرية الكاملة

مُحتَرِفُ حِصاراتٍ

لو مَرَّتْ سَنَةٌ مِن غيرِ حِصارٍ أرتابُ

وأسألُ : هل صِرتُ دَجينًا لا يُقلقُ أحدًا ؟

مُحترفُ حِصاراتٍ

مِن أيلولَ إلى تلِّ الزّعترِ والفاكهانيِّ وطرابلسَ ورامِ الله ،

جَسدي جُهِّزَ لملاءَمةِ الأقْفاصِ

ورُوحي تَنضَحُ بتراجيديا السَّائرِ للحَتْفْ

أنَا مُحتَرِفُ حِصاراتٍ..

تصميم الغلاف: أحمد اللباد

الهيئة العامة لقصور الثقافة

www.gocp.gov.eg

السعر: خمسة جنيهات